عدي عدنان البلداوي

قضايا

في نقد الواقع الثقافي

من أجل نهضة ثقافية عربية
في عصر الذكاء الاصطناعي

قضايا

في نقد الواقع الثقافي

من أجل نهضة ثقافية عربية
في عصر الذكاء الاصطناعي

عدي عدنان البلداوي

عدي عدنان البلداوي

قضايا

في نقد الواقع الثقافي

من أجل نهضة ثقافية عربية
في عصر الذكاء الاصطناعي

٣٢٣/٤٦
ب ٨٤٢ البلداوي ، عدي عدنان

قضايا في نقد الواقع الثقافي / عدي عدنان البلداوي
- ط١ - بغداد : مؤسسة البلداوي للطباعة ، ٢٠٢٥
(١٦٤) ص ؛ (١٨×٢٥) سم .
١- حقوق الملكية - ٢- الثقافة -أ- العنوان

رقم الإيداع : ٣٦٧٠ / ٢٠٢٥م

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦٧٠) لسنة ٢٠٢٥م

الكتاب : قضايا في نقد الواقع الثقافي
الكاتب : عدي عدنان البلداوي
المطبعة : مؤسسة البلداوي للطباعة / العراق - بغداد
الطبعة : الاولى
سنة الطبع : ٢٠٢٥م
الترقيم الدولي : ٧ - ١٩٨ - ٢٩ - ٩٩٢٢ - ٩٧٨
حقوق الطبع محفوظة ولا يجوز إعادة طبع الكتاب
أو نسخه أو الإقتباس منه بدون إذن خطي من المؤلف

مقدمة

في القرن الثامن عشر ، قال الفيلسوف الفرنسي " فولتير " بمقدورنا إحداث ثورة في العقول في ظرف سنتين الى ثلاثة إذا وجدت الى جانبي خمس أو ست من الفلاسفة ومطبعة . في إشارة منه الى أهمية ثنائية الفكر والنشر في إحداث تغيير إيجابي في المجتمع . نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين حيث مخرجات الثورة الصناعية المتطورة ، وما نتج عنها من تقنية وبرامجيات عالية الدقة والسرعة ، هيأت مساحة كبيرة للنشر ولحرية التعبير وسرعة وصول المعلومة . بالإضافة الى ما يتوافر عليه العالم العربي الإسلامي من مفكرين وكتاب وأدباء ومثقفين ، مع كل هذا لا تبدو مجتمعاتنا معافاة ، بسبب ظروف وتحولات خطيرة مرّت على البلاد في العقدين الأولين لبداية القرن الحالي ، لذلك نعتقد ظرورة دراسة الثقافة دراسة جديدة تأخذ بعين الإعتبار طبيعة المجتمع ، والطريقة التي يعيش بها المجتمع ، من أجل الحفاظ على المنظومة الإجتماعية من الأذى الذي يراد لها بسبب سوء استخدام التقنية الرقمية ، والحرية الشخصية ، وكثرة وسرعة النشر ، وظهور محتويات هابطة وتصريحات غير مسؤولة ، تمس المنظومة القيمية والأخلاقية والإنسانية والثقافية والدينية بصورة عامة .

يشتمل هذا الكتاب على مقالات كتبتها ونشرتها في مواقع الكترونية وصحف ورقية ، ودراسات عملية ، ومتابعات لعموم شؤون المجتمع العربي وقضاياه ، ومحاضرات القيتها في مجالس ثقافية وجامعات في بغداد في سبيل صناعة وعي ذاتي عن طريق مشروع لنهضة ثقافية معاصرة تتبنى تمكين المجتمع ثقافياً من خلال توظيف الدراسات الانثروبولوجية في الثقافة للوقوف على طرق حياة الناس والعمل على تطويرها بما يتحقق معه وعي ثقافي ذاتي في الفرد وصولاً الى قاعدة عمل جماعي منتجة تحفظ للمجتمع هويته وتمنحه فرصة مواكبة التطور التقني العالمي بما لا يضر بطبيعة الشخصية العربية ولا يعرضها للتحريف او التغريب او التدجين او التهجين .

بغداد

2025/3/30م

الكتاب كائن حي

في الجاهلية ، وقبل مجيء الإسلام . كانت البضائع الصينية متوفرة في أسواق مكة ، وكان أبو سفيان يرعى الأدب والأدباء ويكرم الشعراء ويحضر وغيره من سادات مكة مهرجانات الشعر .

كانت الصناعة رائجة ، وقوافل التجار تحمل من بلاد الأرض مختلف السلع . وكان عدد الآلهة يزداد كلما إزدادت موارد القوم ، حتى صار حول الكعبة اكثر من ثلاثمائة صنم .

كانت الطبقية هي السائدة ، والمال هو الحاكم ، والعصبية هي دين القوم .

لقد إعتاد الناس آنذاك على قبول الواقع الإجتماعي والإقتصادي حيث السادة والعبيد ، الأغنياء والفقراء .

من يدخل مكة لا يكاد يكتشف ان هناك ظلماً وظلاماً ، وما كان لغير الراسخين في العلم ان يتنبأوا بأن الأرض تنتظر منقذاً بات ظهوره ضرورة حتمية اقتضتها إرادة الخالق ، فكان محمد بن عبد الله رسول الدعوة الى الإنسانية عن طريق التوحيد .

كانت الأعراف الإجتماعية تملي على الأبناء طاعة آبائهم ، فما كان "للصادق الأمين " أن يجمع الناس حوله في ذلك الوقت لولا فسحة

الوعي التي كان عليها بعضهم . أما أغلبية أبناء المجتمع فكانوا مستسلمين لإرادة العرف الإجتماعي السائد ، إذ هم تبع آبائهم وأسيادهم الذين وجدوا في عبادة رب واحد ما يتقاطع مع توسع التجارة وإزدهار الصناعة ودوام النفوذ والسيادة . لذلك عرض سادة مكة ، المال والجاه على النبي الجديد من أجل ان يترك لهم حياتهم تسير على ما هي عليه .

كانت الكلمة هي المادة الأساسية الأولية التي استخدمها النبي الخاتم في مشروعه الرسالي المتضمن صناعة وعي ذاتي في الفرد والمجتمع يحمله على تغيير واقعه الى ما ينبغي أن يكون عليه كوجود إنساني لا كتواجد بشري ، ففي عبارة (أفلا ينظرون) التي جاءت في سياق آيات قرآنية ، دعوة إلهية للناس لكي يستخدموا التفكير الموضوعي في تعاطيهم مع الطرح الجديد في ضوء الواقع الذي كانوا يظنونه آمناً بوجود تلك الأصنام في الكعبة وفي بيوتهم . الوعي هو الذي حث الذات الإنسانية في (سميّة) و (ياسر) بعدما أظهرا قلقهما وخوفهما حال سقوط الصنم الى الأرض في حركة غير مقصودة من ولدهما عمار وهو يحاول ان يطمئنهما على حاله بعد علمهما بأنه يلتقي بالنبي الجديد . سرعان ما تحول ذلك القلق والخوف الى باعث للتأمل ودعوة الى إسترجاع الأحداث حين أخبرهما (عمار) ان هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ، والكلمات التي جاء بها النبي محمد فيها من

الطاقة الروحية ما يشجع على قبول الفكرة . هكذا تهيأت للذاكرة أجواء العودة بـ (سميّة) الى الوراء لتقف عند مشهد وأد أبيها لأختها، وما خلفه ذلك الفعل اللاإنساني من الم مزمن في نفسها لم يغادرها برغم السنين ، ولم تتمكن وهي بقرب الألهة من أن تشعر بالأمان ، فأستمدت من إستقرار نفس ولدها (عمار) وهو يذكر كلمات الله ، طاقة حركتها وزوجها لإستنهاض وعيهما الذاتي .

وعندما أصبح (عمار) في مواجهة مع سادة مكة ، دعوه الى التعقل والى إستخدام المنطق الذي يظنونه في جانب تخلي عمار عن اتّباعه الدين الجديد ، وأتسعت دائرة الوعي الإنساني حين أمر (أمية بن خلف) عبده (بلال) بجلد (عمار) بالسوط ، فكان إمتناع (بلال) عن تنفيذ الأمر إيذاناً ببدء مرحلة التعذيب الجسدي البشع ، تلك المرحلة التي كان أهون خطواتها هي هلاك جسم ذلك العبد ، لكن رحمة الله شاءت له أن ينجو بعرضٍ قدّمه (ابو بكر) الى (أمية) ، فكانت حياة بلال مقابل 100 دينار .

مات (ياسر) وماتت زوجته (سمية) ميتة بشعة أُرغم (عمار) على حضورها في مشهد تعذيب علني أدّاه سادة مكة . ترك ذلك المشهد أثره العميق في نفس (عمار) .

فمثلما كانت قوة العضلة غالبة في ذلك الوقت الذي لم تصل فيه

قوة الكلمة الى ما يكفيها من قدرة على المواجهة ، كانت معادلة التوازن تدّخر شخص (حمزة) ليوظف قوة بأسه وقوة بدنه المشهود له بها، في الدفاع عن كلمة العدل والحق ، ودعم حرية الكلام والتعبير .

(كيف نقاتل رجلاً لا ندرك سرّ قوته) هذا ما قاله أبو سفيان حين قاس بعين رؤيته المادية إمكانات محمد التي تفتقر الى المال والسلاح والرجال الأشداء .. فأغلب الذين يتبعون الدين الجديد هم من العبيد والفقراء ، ومع كل صنوف التعذيب والتنكيل والقتل والقمع كانوا يصمدون ويزدادون .

لا يفرطون بالكلمة التي خاطبهم بها نبيهم بوحي الله ، حتى عندما حمل رَوْعُ المشهد الأليم (عمار) الى ذكر (هبل) بخير ، كانت كلمة النبي الخاتم أكبر من مجرد تهدئة للنفس وتطييب للخاطر ومواساة على الفاجعة . لقد كانت تكريماً ووعداً إلهياً بأعلى مرتبة في الجنة .

" محمد إنسان ، ونحن لا نركع إلا لله " . هكذا وجد (جعفر بن أبي طالب) طريقه الجديد في الحياة ، فوظف رؤيته الجديدة في حضرة ملك الحبشة حين أمر بالسلاسل لتقييده ، ومن جاء معه من مكة . فأنبرى مخاطباً الملك بثنائية الدين والعدالة ، حين قال له إن نبينا أرسلنا اليك لأنك ملك عادل ، ولأنك من أهل الكتاب .

وجد الملك في قول جعفر ما يحمله على الإصغاء اليه ، فوجد كلامه مقنعاً ملزماً له ، فمنحهم حق اللجوء والإقامة في المدينة . هكذا مثّلت الكلمة شرارة الثورة العظيمة التي زلزلت المجتمع في ذلك الوقت .

وكأي تغيير لم تخل أحداث تلك المرحلة من وقوع ضحايا وخسائر بالأرواح والممتلكات . فكان الصبر رافد النبي في دعوته التي كلّفته وفاة زوجته وعمه في عام الأحزان ، وكلّف أتباعه إغترابهم عن عوائلهم وفقدانهم أموالهم وأعمالهم . لكن تنمية الذات والعمل من أجل لحظة وعي ذاتي في كل شخص ، كان مشروعاً إستحق كل ذلك العطاء وكل تلك القرابين التي أفصح عنها قوله صلى الله عليه واله (ما أوذي نبي مثلما اوذيت) .

وبينما كانت الحروب الأهلية متوقعة في تلك الظروف ، وكان متوقعاً توسعها كلما اتسعت دائرة الدعوة الى الدين الجديد .

كان الإسلام يرى نواة دولة إنسانية جديدة في طريق إنشطارها محدثة بركاناً وجدانياً . إيمانياً . إنسانياً ، أدهش سادة مكّة لما اقتحم رجالهم بيت النبي ليلاً ، فإذا بـ (علي بن ابي طالب) ينام مكان رسول الإنسانية ليفتديه بنفسه بعد ان دبّر العقل التسلطي القرشي مكيدة قتل النبي بيد جماعية يضيع معها دمه بين القبائل .

كان الصدق رفيق خطوات الدعوة الإيمانية الجديدة في تدابيرها وهو يكفي (علياً) خطر الموت المحتمل على أيدي القوم وهم يتعجلون الإنتقام . لقد كان الله معه يسمع ويرى ، لأنه يحب الصادقين .

هذا هو سرّ قوة الدين الجديد التي حيّرت (أبا سفيان) ومن معه .

الدفوف التي استقبل بها المسلمون نبي الرحمة في المدينة كانت إيذاناً بدخول المجتمع لأول مرّة مرحلة التصويت الحر لحكومة جديدة دستورها الكتاب المبين ، يتحركون بهديه الى ما يرتقي بهم ويحفظ لهم كرامتهم وامنهم وحريتهم وحقهم في العيش في مجتمع عادل ، هو اليوم وبعد أكثر من الف عام ينادي بكتاب الله دستوراً . لكن الكتاب لم يعد كائناً حياً حين اكتفت أنظمة الحكم المعاصرة بوجوده للتبرك والعمل به في حدود لا تشمل كل مفاصل حياة الناس اليومية . الأمر الذي دفع بالناس في ظل ظروف الدولة الجديدة الى هجر القرآن ، ثم العزوف عن القراءة ، ودخل فارق التطور الكبير بين المجتمع العربي والمجتمع الغربي أو الأوربي على خط جذب الناس الى الكلمة العلمية ، والمادية البحتة . الخالية أحياناً من الروح التي حرّكت مجتمع الأمس قبل أكثر من الف عام .

شيئاً فشيئاً تحولت آلهة الأمس الحجرية الى آلهة بشرية في زمن الرياء والنفاق والمصالح المادية والصراعات والنزاعات التي كادت

تفتك بالبلاد ، وترجع بها الى زمن السبي والظلم والظلام . ليس باسم (اللات وهبل) ، ولكن باسم الله هذه المرة . انه الإستغراق في المادة بعيداً عن الروح ، الأمر الذي من شأنه أن يقود المجتمع المعاصر الى جاهلية وثنية بشرية بتقنية رقمية وبأدوات معاصرة غير التي كان يستخدمها مجتمع الأمس .

ان تفعيل المشروع المحمدي الإنساني يقتضي منّا اليوم أن نتفاعل مع الكتاب ككائن حي ، لا مجرد كلمات في صفحات كتاب على رفوف مكتبة . لا نقصدها إلا في أوقات معدودة ، ولحاجات محدودة بسبب عزوف كثير من الناس عن القراءة .

حتى ممن يتخرجون في الجامعات ، الذين إذا قرأوا فإنهم لا يقرأون إلا كتباً في مجالات تخصصاتهم فقط . أما عامة الناس فقد استسلموا لروتين الحياة وتعقيداتها وانغمسوا في طلب العيش ، فأقصروا وجودهم على تأمين احتياجاتهم من مأكل وملبس ومسكن وتكاثر . وصار نوع السلعة التي يقتنوها ، ودرجة الإنفاق المالي ومعدلات الدخل العالي مؤشراً على ثقافاتهم .

الثقافة المحلية وعصر التقنية

يرى بعض المثقفين المعجبين والمتأثرين بعصر التقنية والثقافات الغربية ، ان ثقافاتهم المحلية ليس بمقدورها مواكبة المشاريع الثقافية العالمية التي تمولها مشاريع الإقتصاد الصناعي والسياسي للدول الكبرى في العالم عبر شركات عابرة للقوميات ، وعبر مواقع التواصل الإجتماعي ، من خلال محركات البحث الالكتروني . لذا وجدوا في المرونة حاجة ضرورية تفرضها ظروف مرحلية محلية واقليمية وعالمية متعلقة بمستقبل الحياة على الارض وبمصير الإنسانية . لذلك دعا نفر من المثقفين الى تكوين عقل ثقافي محلي بمواصفات عالمية عابرة للخصوصية ، وفي بعض الأحيان عابرة للقيم والمبادىء والمثل العليا للمجتمع .

لقد منحت أدوات التقنية للإنسان العربي الواناً من الحرية كان ولا يزال يفتقر إليها في مجتمعه . فقد صار بمقدوره الإطلاع على ثقافات متنوعة ومختلفة . وصار بمقدوره إنتاج ثقافته الخاصة بعد أن كان الجو العام الغالب على مشهد الحياة اليومية في بيئته يتدخل الى ابعد الحدود في إنتاجها جماعياً .

الفردية الثقافية

اختلف المثقفون حول الفردية الثقافية ، منهم من يراها تهدّد وحدة المجتمع ، خصوصاً عندما تكون متأثرة بالتغريب الثقافي . ومنهم من يراها تعزّز مركزية الذات ، وتزيد في حرية التعبير ، وحرّية الإبداع التي يحتاجها العقل العربي المقيّد بالمصادر والآراء القديمة والموروث الثقافي عموماً .

لا يرى بعض المثقفين في التغريب الثقافي خطراً على حاضر بلدانهم العربية بموروثها الثقافي في ظل النظام العالمي الجديد الذي لا معنى فيه لحياة أي مجتمع بعيداً عن التأثر بثقافات المجتمعات الأخرى حول العالم والتأثير فيها . بينما يعتقد المثقف المحافظ ان الأمر يحتمل كل الخطورة ما دامت معادلة الأقوى في أجندات النظام العالمي لم تغادر بعدها المادي عددياً وعسكرياً وإقتصادياً . فهي المعادلة التي لا تزال غالبة على طبيعة المشهد العالمي في كل المجالات تقريباً .. وان الدول الكبرى التي استعمرت بلداننا في السابق ، هي نفسها من يقود العالم اليوم بعد أن أجرت تحديثاً على بعض المفاهيم كالإستعمار والإحتلال . فصار الحديث عن الغزو الثقافي ، وعن إحتلال العقول ، والهيمنة الرقمية العالمية ، والتغريب الثقافي وأمركة العالم وثقافة القطب الواحد .

المثقف العربي والتطور الغربي

لا تزال لكلمة " تطور " جاذبيتها الشديدة التي تشدّ اليها كل باحث عن واقع أفضل ، وحال أحسن وحياة أجمل .بإسم التطور خرجنا من عباءة الماضي وانفتحنا على العالم. وبإسم التطور وسّعنا علاقاتنا التجارية والثقافية والدبلوماسية مع بلدان العالم .

وبإسم التطور خرجنا الى صناديق الإقتراع نحمل السلام بدل السلاح بحثاً عن ممثلين لنا في السلطة .

وبإسم التطور إرتضينا الإختراق الألكتروني لخصوصياتنا عندما وفّرت لنا بعض شركات الإنتاج الرقمي إمكانية الكسب المالي بالترويج لصفحاتنا الشخصية بمنشوراتها ومعروضاتها ، ومن بينها شؤوننا الشخصية وحياتنا العائلية .

يُعتقد ان المساحة الكبيرة للحرية التي وفّرتها التقنية الرقمية المتطورة في مجال النشر وإبداء الرأي ، تعدّ من إيجابيات عصر التقنية . لكنهم قد لا يعلمون ان القائمين على مشاريع التطور التقني يستثمرون في الثقافة لصالح أجنداتهم الخاصة . فهم يوفرون للكاتب والمفكّر سبل التواصل ونشر المقالات والكتب والآراء ويقدّمون له عروضاً للشهرة ، وفي الوقت نفسه ، يستخدمون ظهوره الإعلامي وصوره الشخصية ومقاطع الفديو التي يتحدث فيها ، كسلاح خطير

يوجهونه اليه متى ما أراد ان يواجه بأخلاق ثقافته ، ووعي حريته ، ومبادىء مهنته ، عروضاً وأفكاراً ومخططات يتم الترويج لها هنا وهناك ، يراها تهدّد أو تضرب البنية التحتية لمنظومة القيم والأخلاق والدين والإنسانية . فيعمدون عبر تقنيات برمجية متطورة الى إنتاج مقاطع فديو يظهر فيها ذلك المثقف وهو يتحدث بالضد من طروحاته ومنهجيته العلمية والأخلاقية والدينية ، وقد يظهرونه في أوضاع مخلّة بالأدب أو يجرون على لسانه آراء تضرّ بالسلامة الفكرية أو تطعن في الدين والقيم والموروث الأخلاقي .

الثقافة التقنية الرقمية

عصر التقنية المتطورة ، بما يوفّره من حقّ شخصي في إمتلاك أجهزة الموبايل والحاسوب والإنترنت . وبما يوفّره من حرّية وسهولة في إستخدام وسائل التواصل الإجتماعي ، والمواقع الألكترونية. يوفّر في رأي بعض المثقفين فرصة ركوب أمواج ثقافات الدول المتطورة بما يحقق أو يدفع بإتجاه اللحاق بركب العالم ثقافياً وإجتماعياً وإقتصادياً ، من خلال التدفّق الهائل للبيانات والمعلومات وسرعة الحصول عليها ودقّة نتائج البحث الألكتروني التي يراها بعض المثقفين تغني رصيدهم الثقافي وتجربتهم الإبداعية .

منذ بدايات القرن الواحد والعشرين ، كثر في العالم العربي حملة

الشهادات العليا وحملة الألقاب الرسمية و الإجتماعية ، وهيمنت الثقافة الشعبية على مشاهد الحياة اليومية للناس قياساً بثقافة النخبة. ربّما لقلة العطاء الفكري والثقافي للنخب الثقافية ، وربّما لغزارته في الجانب النظري البعيد عن واقع حال المجتمع الذي يُراد ان يتأثر بفكر المثقفين بما يدفعه الى تغيير واقعه الى ما ينبغي ان يكون عليه . وربّما لافتقاره الى علاقة تواصل مؤثرة بالمتلقي ، تجعل من ذلك العطاء الفكري العملي موضع تفاعل الناس ، فقد نجد كثيراً من البحوث الأكاديمية المهمة التي تصبّ في معالجة الواقع ، لكنها حبيسة رفوف المكتبات ومكاتب المسؤولين الذين لا يجدون في تنفيذها ما يخدم توجهاتهم ومصالحهم الخاصة في إدارة البلاد .

التثقيف الإفتراضي

كما أتاح العالم الافتراضي إمكانية تأسيس أكاديميات افتراضية ومراكز أبحاث وكليات ومعاهد للدراسة عن بعد ، وسّعت مساحة اللقاء الثقافي والمعرفي وأعطت للكتاب الألكتروني حضوراً أثّر في حركة الكتاب الورقي فقلّ الإقبال عليه أمام وفرة المكتبات الألكترونية التي تعرض عنوانات كتب متنوعة وكثيرة يمكن قراءتها عبر الشاشة أو نقل نسخة منها إلى الحاسوب الشخصي بشكل مجاني ، فضلاً عن مكتبات بيع الكتب الكترونياً بأسعار هي الأقل مقارنة بكلفة شرائها مطبوعة بصيغة كتاب ورقي .

أنشطة ثقافية الكترونية

اتاحت التغطية المستمرة والبث المتواصل للإنترنت على مدار الساعة لكثير من المستخدمين الظهور في مواقع التواصل الإجتماعي، والملتقيات الافتراضية ، والمجموعات الثقافية الالكترونية ، والمواقع الإخبارية والتجارية . بمجيئ وباء كورونا اتسعت مساحة الظهور هذه ، إذ لم يتوقف النشاط الثقافي والتواصل الإجتماعي بسبب العزلة التي فرضتها شروط السلامة من الوباء ، فقد ظهرت منتديات ومجالس ثقافية الكترونية تُلقى فيها المحاضرات بالصوت والصورة الحيّة تارة ، والمسجّلة تارة أخرى . وعمد بعض القائمين على الأنشطة الثقافية الإلكترونية الى تقديم " شهادة مشاركة " لمن يسجّل حضوره الالكتروني في المنصّة التي تُلقى من عليها المحاضرة الثقافية . فضلاً عن " شهادة شكر " و" درع الإبداع والتميز " . بعض الآراء ثمّنت تلك المبادرات وعدّتها تشجيعية ومحفزة ، وبعضها رأت فيها أنشطة قائمة على أساس مشترك بين المظهر الإجتماعي والجوهر الثقافي ، فتقديم شهادة مشاركة لمجرد دخول الشخص وتسجيله في المنصة الالكترونية الافتراضية ، يحفز كثيرين على القيام بتلك الخطوة من أجل الحصول على تلك الشهادة التي ترسل اليه الكترونياً ، ليقوم هو بنشرها في حسابه الالكتروني الخاص في احدى منصات التواصل الإجتماعي كي يحصل على الإعجابات وكلمات الثناء التي تسهم في منحه جرعات من النشوة والرضا والتفاخر .

الثقافة والتزييف العميق

هكذا نصبح أمام تعريفات جديدة لمفاهيم مثل الحرية ، والأخلاق ، والثقافة في عصر التقنية . تعريفات تسمح لكل من يلتزم بثقافة المشاريع الإستثمارية العالمية أن يصبح شخصية إجتماعية ، أو شخصية مؤثرة ، أو شخصية عالمية .. ما دام يتمدّد بتفكيره ضمن حدود المنتج العالمي لمفهوم الحرية التقنية الرقمية المؤرشفة والمؤدلجة . من ذلك ما نسمعه ونشاهده هنا وهناك من ظهور لأشخاص بلا محتوى ثقافي رصين ، يملأون الشاشات ويشغلون أوقات البث . يُحتفى بهم في محافل ثقافية تم الإعداد لها في إطار سياسي اقتصادي تجاري . وقتذاك سيشعر المثقف الحقيقي ان الثقافة من حيث هي رسالة وعي إنساني أخلاقي إيجابي ، تشكّل عبئاً يثقل كاهله حدّ كسر الظهر ان هو أصرّ على حملها في عصر الشاشات الملونة والنفوس الملوثة .

أدرك أصحاب الوعي هذا الخطر المحدق بمستقبل الثقافة الإنسانية. كما أدركوا ان الأعمال العظيمة التي خدمت الإنسانية عبر التاريخ لن تكون بعيدة عن متناول يد مشاريع الإستثمار ، وبرامج التقنية المتطورة ، والذكاء الإصطناعي غداً . فبعد ان يمرّ وقت على ظهور جيل أو جيلين من الشباب الذين لا يعرفون غير الإنترنت مصدراً لمعلوماتهم ، ومعارفهم ، وثقافاتهم ، ستأخذ مخططات ومشاريع

الثقافة العالمية من تلك الأعمال العظيمة واولئك الأبطال والمفكرين والمثقفين ما تستفيده في برامج الكترونية عالية الدقة كـ " تقنية التزييف العميق " Deep Fake مثلاً . حيث يعاد إنتاج حدث تاريخي ، أو حديث ديني جاء على لسان عالم جليل القدر عظيم الأثر عند أتباعه ومريديه ومقلديه . أو إعادة صياغة حكمة ، أو وجهة نظر لفيلسوف ، أو مفكر ، أو كاتب له حضوره الإجتماعي والثقافي ، مشهود له بالكتابة الجادة والأمانة العلمية وبقوة الشخصية وسلامتها ، بحيث تقدّم هذه الأعمال والأقوال والأحداث الى الأجيال الجديدة بعد أن يضاف اليها .. أو يحذف منها .. أو يُغيّر كامل محتواها بما يتوافق مع ما تقتضيه أجندات أصحاب المشاريع العابرة للقيم والإنسانية . فيتوهم اولئك الشباب انهم على إتصال بتاريخهم ، فيبنون على هذا الإتصال الموهوم ثقافاتهم الجديدة .

غالباً ما تأتي مشاريع تزييف الحقائق من أجل صناعة قوالب جديدة للثقافة ينتج عنها جيل مثقف مستهلك ، لا يُسمح لابداعه بأن يتجاوز المدّة المحدّدة لصلاحية الثقافة الإستهلاكية . واذا حصل وأراد أن يُنتج ثقافته الخاصة ، فإن السوق العالمية ستحذّر المستهليكن منها ، كونها غير صالحة وغير آمنة . ولن يكون بوسع المستهلكين سوى تقبّل تلك الإدعاءات لأنهم سيكونون في وضع لا يسمح لهم بالتمييز بين المزيف والحقيقي من المنتجات والأفكار والثقافات ومصادر التاريخ .

بين الإغتراب والتغريب

برغم أعداد الإصدارات التي تُعلن عنها دور النشر ومعارض الكتب ، لا تزال الثقافة العربية الى حدّ ما غير قريبة من واقع وطبيعة وطريقة حياة الناس . إما لمهنية وحرفية وتجارية طابع كثير من تلك المطبوعات . أو لإفتقارها الى لغة مرنة مشتركة بين الكاتب والقارىء.

بعض الكتّاب يستخدمون تعبيرات غامضة بهدف التشويق أو بهدف تكوين إنطباع أولي لدى القارىء عن علو كعب الكاتب ، فكلما احتاج القارىء الى وقت أطول لفهم مقصد الكاتب دلّ ذلك - كما يتوهم بعضهم - على المهارة والعمق الثقافي ، والبعد الفكري للكاتب .

في كتابه " قضايا الفكر في الأدب المعاصر " يقول : وديع فلسطين" (وعليه فقد ازدحمت السوق بأطنان من الكتب وناءت الذاكرة بحفظ أسماء الكتاب الجدد . ولكن اذا استصفينا حصيلة كل هذا النتاج لم ننته إلا الى قليل من الدسم في محيط من الغثاثة والفجاجة وهوان التفكير... وقد أحسن الباحث والمحق المصري محمد عبد المنعم خفاجي تصوير هذه الحال فقال : ان القرّاء يقعون فريسة لذوي المواهب الضيئلة والأهواء الصغيرة من محترفي الأدب .. مما أدى الى ظهور الآلاف من الكتب والقصص التافهة التي تؤثر في عقول الشباب ونفوسهم تأثيراً ضاراً سيئاً ذا اثر محزن في حاضرنا

الفكري والثقافي ، وتؤدي الى انحطاط مستوى الروح الادبي والعلمي في اوساطنا المثقفة..) (1) .

على مواقع التواصل الإجتماعي وبدافع حرية التعبير وحرية انشاء صفحة شخصية ، ينشر بعضهم ما يسمّونه قصيدة أو مقالة قصيرة أو خاطرة ، لا يكاد يفهم منها شيئاً . الغريب في الأمر إن اصدقاء الناشر يثنون عليه بعبارات من قبيل : " احسنت النشر " . " شكراً لحرفك الجميل " . " روعة " ، فتوهم بعضهم انه على خير حين غاب النقد الحقيقي وحلّت محلّه المجاملات الإجتماعية في كثير من الأحيان .

تقارير ثقافية

حسب تقرير التنمية البشرية لعام 2003 الصادر عن اليونسكو ان كل 80 شخصا عربياً يقرأون كتاباً واحداً في السنة ، بينما يقرأ المواطن الاوربي الواحد حوالي 35 كتاباً في السنة .

وفي تقرير التنمية الثقافية للعام 2011 الصادر عن مؤسسة الفكر العربي ان المواطن العربي يقرأ بمعدل 6 دقائق سنوياً ، بينما يقرأ المواطن الاوربي بمعدل 200 ساعة سنوياً .

1- قضايا الفكر في الادب المعاصر- وديع فلسطين - مطبعة الطنافي - مصر - 1959م - ص 128

وبحسب تقرير اليونسكو فإن الدول العربية انتجت عام 1991 6500 كتاباً بالمقارنة مع امريكا الشمالية التي انتجت 102 الف كتاب و 42 الف كتاب في امريكا اللاتينية والكاريبي .

وحسب تقرير التنمية الثقافية فإن الكتب الثقافية العامة التي تنشر سنوياً في العالم العربي لا تزيد عن 5000 عنواناً وفي امريكا يصدر سنوياً حوالي 300 الف عنوان .

قد تساعد هذه الأرقام في الكشف عن الفارق الثقافي بين الشرق والغرب ، فعدد النسخ المطبوعة من الكتاب الواحد في الشرق لا تزيد عن خمسة الاف نسخة ، بينما يصل الى خمسين الف نسخة للكتاب الواحد في الغرب .

الكتاب الورقي وتقنية الطباعة

بعد ان وفرّت التقنية المتطورة أجهزة طباعة تتيح للكاتب والمؤلف طبع عدد محدود من كتابه بما يتلائم ومقدرته المالية من جهة ، وحركة الإقبال على الكتاب الورقي من جهة اخرى . وجد بعض الكتّاب ذلك محفزاً لمضاعفة جهودهم وتقديم اكبر عدد ممكن من المؤلفات ، التي عدّها بعضهم مؤشراً على غزارة ثقافة الكاتب ، بينما كانت موضع إنتقاد آخرين . خصوصاً عندما تحمل تلك الكتب مضامين لا تخدم الواقع ، ولا تتحرك به في طريق النهضة. ولعل

بعضها يفتقر الى أبسط مقومات النصّ السليم ، الأمر الذي حمل بعض المعنيين على وصف هذه المرحلة بالمظلمة ثقافياً ، أو الفقيرة ثقافياً .. لا من حيث الإمكانات المادية والتقنية وكثرة المطبوعات ، بل من حيث قلّة عدد القرّاء وكثرة عدد الفقراء في مجتمع ما بعد التغيير السياسي والإقتصادي والأمني في العالم العربي.. والسماحية العالية التي توفّرها شبكة الإنترنت للراغبين بكتابة بحث أو رسالة أو تأليف كتاب دون بذل جهد فكري أو حتى جهد عضلي .

فقد أعدّت بعض شركات الإنتاج الألكتروني برامج وتطبيقات تتيح للمستخدم إعداد رسالة جامعية أو بحث أكاديمي أو تأليف كتاب في مجال من مجالات المعرفة والعلوم الإنسانية ، منها تطبيق chat GPT الذي يقدّم خدمات متطورة في مجال تأليف الكتب . يكفي أن يكتب المستخدم عنواناً لكتابه المرتقب ، فيتولى التطبيق تنفيذ المهمة . حيث يوفّر للمستخدم مرونة في تحديد عدد فصول الكتاب وفقراته ، وقصر أو طول المادة المكتوبة ، وعدد صفحات الكتاب ، ويتولى موقع آخر تصميم غلاف مناسب للكتاب . بالنتيجة يصبح بمقدور المستخدم أن ينجز عشرات الكتب ما بين طبعها ورقياً وبين الإقتصار على نشرها الكترونياً والترويج لها بوساطة إعلانات الكترونية ممولة .

هكذا تجعلنا بدايات القرن الواحد والعشرين على موعد مع عدد كبير

من الأسماء التي تبحث لنفسها عن مكان في عالم الثقافة بحكم غزارة إنتاجها من مؤلفات ومقالات لم تكتب فيها شيئاً ، ولم تبذل فيها جهداً فكرياً .

في مستقبل عصر التقنية المتطورة سيكثر الكتّاب والمؤلّفون ، وسيقلّ الثوّار والمبدعون . وستصبح الثقافة لوناً الكترونياً رقمياً يسهم في ترقيع لوحة الحياة التي ترسمها مشاريع الذكاء الإصطناعي .

الكتاب والتسويق

تواجهنا في الحديث عن الدور المهم لدور النشر في حركة الثقافة مشكلة التوجّه التجاري للعاملين في كثير من المطابع ، لأنه يحملهم دائماً على طبع الكتب التجارية التي تستهلك وقت القارىء وقد يندم على ذلك الوقت الذي امضاه في قراءة هذه الكتب ، كما قال وديع فلسطين في حديثه عن هذه المشكلة قبل اكثر من خمسين عاماً في كتابه (قضايا في الفكر) .

تجذب الكتب التجارية الشباب اليها ، لأنها تخاطب رغباتهم في النجاح ، والثراء ، والتميز والحبّ .. بلغة مباشرة مقتصرة على لون محدّد من الوان تلك الرغبات . لعلنا نستطيع معالجة هذه المشكلة بدخول المثقف على خط العمل في مشاريع الطباعة حيث تمتزج في شخصية المثقف ثنائية النشاط الثقافي والتجاري معاً مما ينتج عنه

مطبوعات هادفة اكثر من تلك التي ينحصر انتاجها في الربح المالي فقط .

كثير من القرّاء الشباب يفضلّون قراءة الكتب الأجنبية المترجمة الى العربية . ويستشهد كثير من الكتّاب والباحثين العرب في كتاباتهم وابحاثهم ومحاضراتهم بكتّاب وباحثين وعلماء أجانب أكثر من العرب في مجال البحث نفسه .

لا يزال الكاتب والباحث العربي عموماً ، والعراقي بشكل خاص يؤدي كل الأدوار بنفسه في رحلة تأليفه الكتاب . إذ لا يزال الجو الثقافي جواً مقصوراً على صاحبه ، لا يكاد يجد من يشاركه فيه حتى من افراد عائلته ومقربيه ، إلا من أوتي حظاً منهم .. لذا نتوجع كلما رحل كاتب وعالم الى العالم الآخر وقام ابناؤه ببيع مكتبته أو إهدائها الى جهة ما . وكبرت مساحة الألم حين أخذ بعض الكتّاب يتبرعون بمكتباتهم في أواخر أيام حياتهم الى مكتبة عامة أو جهة ثقافية معينة ، لأنهم لم يجدوا من ورثتهم من يحمل هذه التركة القيّمة . لا شك انه مؤشّر مؤلم على إبتعاد نفوس وعقول المقرّبين من الكاتب والعالم والمفكر عن روح الثقافة . لأن الكاتب لم يوفق في نقل تلك الروح الى أحدهم، فكان إقدامه شخصياً على إهداء مكتبته ، إجراءً يشعر معه انه يتجاوز الألم الذي ينتابه وهو يرى مكتبة صديق له قد بيعت أو تخلّص منها ابناؤه بأي طريقة بعد مفارقته الحياة . وأضيفت الى

دراما إهداء المكتبات الخاصة بعض التلحيظات التي تجمّل المشهد وتطيّب النفس نوعاً ما ، حين يُعلن على العامة خبر إهداء العالم الفلاني والمفكر الفلاني والكاتب الفلاني مكتبته مع صور شخصية توثق ذلك ، وقيام الجهة المستلمة للمكتبة بوضع إسمه على المكتبة كما هو حاصل في دور كتب رسمية ، ومكتبات عامة ومراكز الثقافية .

ينقل الكاتب المصري " وديع فلسطين" في كتابه " قضايا الفكر في الأدب المعاصر " جانباً من رسالة كتبها الكاتب المصري مصطفى صادق الرافعي المتوفي سنة 1937م الى صديقه الأديب المصري محمود ابو ريه المتوفي سنة 1970م يقول فيها : (ان الأدب يتيم بائس لا أب له ولا نصير ورحمم الله زماناً كان يجد فيه الأب والعم والخال وابن العم) (1) .

وسواء كان عدم توفيق الكاتب في نقل روح الثقافة الى أحد أبنائه ، سببه رؤيته المحدودة ، أو ضعف همّته على التوفيق بين عالمه الثقافي وجوّه الأسري الإجتماعي ، أو ان أدوات الزمان قد تغيرّت وجاء تيّار جارف أخذ الأولاد بعيداً عن الشاطئ الذي حطّ عنده الكاتب رحاله وألِف أجواءه . فإن كل ذلك يؤشّر عندي الى حصول توقف في

1- قضايا الفكر في الادب المعاصر - وديع فلسطين - مطبعة الطنافي - مصر - 1959م

تفاعل المثقف مع أدوات عصر أبنائه وإن كان يعيش إستخدامها معهم . لكنه لم يوفّق الى آلة ربط بين زمانه وزمانهم ، فتجد كثيراً من الأطباء والمهندسين والكفاءات المعرفية في المجتمع هم أبناء أدباء وكتّاب ومفكرين ومؤلفين ، لكنهم في الأعم الأغلب ليسوا مثقفين كما هو حال آبائهم . فهم مهنيون ، يؤمنون بالتخصّص، أو هكذا وجدوا أنفسهم . وقد يبدو ذلك ملموساً في بعض المجالس الثقافية التي يحضرها أدباء وعلماء وأكاديميون تقدّم بهم العمر ، فكنت نادراً ما أرى أحدهم يرافقه إبنه أو إبنته ، وإن حصل فإنهم يحضرون بصفاتهم المهنية لا بصفات ثقافية ، وهو لا شك نوع من أنواع الخسارة التي نتجرّعها على مضض. وبهذا الصدد يتوجّب عليّ ومن باب العرفان بالجميل أن أذكر ان والدي الأديب الناقد والشاعر عدنان عبد النبي البلداوي كان يدعوني وأنا في مرحلة الدراسة المتوسطة الى الإستماع الى مقالة له قبل أن يبعث بها الى النشر ، ليس لمجرد الإستماع. بل كان يغريني وانا في ذلك العمر برغبته الصادقة في معرفة رأيي فيما كتب . وما إذا كانت لي ملاحظات على مقالته .

كان يأخذ برأيي ، ليس لكفاءتي طبعاً ، ولكن لبراعته . كانت تلك طريقة عبقرية ، اعترف بها اليوم وانا أتجاوز الخمسين عاماً من عمري وقد تحوّلت الى عاشق للكتاب . لقد أعدّني بهذه الطريقة

النفسية البديعة وشدّني الى مكتبته التي احتفظ بها اليوم وقد نمت وكبرت معي ، وصارت جزءاً مني . ليس هذا وحسب ، بل انه شجعني على أن أدرس تخصصاً استطيع به تكوين نفسي مادّياً ، وان لا أفارق الكتاب .. وفعلاً تخرّجت في كلية الهندسة وانا أهوى الكتاب والكتابة. كان يقرأ كتاباتي الطفولية قراءة نقدية دون أن يشعرني أبداً انه كان يداعبني أو (ياخذني على كد عقلي) كما نقول في العراق . كان صادقاً معي في كل ملاحظة وتصويب ، وفوق كل هذا شجعني على نشر تلك الخواطر والكتابات فكانت أولى خطوات النشر لي في جريدة العراق وجريدة الراصد وانا في المرحلة الإعدادية .

في كتابه " الأدب للشعب " يطلب سلامة موسى من الأديب ان يكون له منهج تربوي كالمعلم . وان تكون له رسالة انسانية كما النبي.

الثقافة والتقنية الصناعية

اسهمت التقنية الصناعية المتطورة بشكل كبير في تسهيل إعداد وطبع ونشر الكتب .. فقد صار بمقدور الباحث والمؤلف والكاتب إصدار أعماله بكلف مالية مقبولة مقابل أعداد محدودة من النسخ . لكن المشكلة في عالمنا العربي لم تنته عند هذا الحل ، لأنها متعلقة بشكل كبير في عزوف الناس عن القراءة . حتى عندما وفّرت التقنية الرقمية المتطورة خدمات كبيرة نتج عنها سهولة في الحصول على الكتاب ، وسرعة الوصول اليه .

يدخل كل من العامل الإقتصادي والعامل النفسي ليؤثرا بشكل فعال في عملية تفاعل الانسان العربي مع القراءة والكتاب ، فهناك ملايين المواطنين في عالمنا العربي الإسلامي يعيشون تحت خط الفقر .

يضاف الى ذلك الفوضى العامة التي ضربت البلاد في مجالات السياسة والأمن والصراعات المستمرة على السلطة ومكاسبها ، التي هدّدت الإستقرار النفسي للفرد العربي عموماً ، والذي من شأنه أن يهبط بالمعنويات الى مستويات متدنّية مخيفة ، بلغت عند بعض الشباب الى الإدمان والإنتحار والعنف . ودفعت بآخرين الى قبول ثقافة الواقع كما هو ، بلغة تفكير وتعبير عادية وصلت حدّ كتابة الكلمات بالكيفية التي تُنطق بها ، فجاءت (لاكن) لتدل على (لكن) و (لكي) لتعني (لك) و (شكرن) بدلاً عن (شكرا) و (بورك فيكي) بدلاً عن (بورك فيكِ) ، وهكذا ..

ثقافة مرحلية

هكذا تسهم الأحداث المرحلية في تشكيل ثقافة مرحلية للمجتمع ، يتقبل فيها الفرد الشعر العامي على الشعر الفصيح . و ثقافة الصورة على ثقافة النص . وقراءة التعليقات على قراءة المحتوى . وصارت الشهرة عند كثيرين من دلالات المعرفة والثقافة ، فظن كثير من المتثاقفين وهَم الإبداع الحقيقي وهُم يتلقون عبارات (متألق .. نص

رائع .. يا لجمال حرفك .. انت قامة ادبية .. دام ابداعك ...) ، غير منتبهين الى ان سبب ذلك هو إستفحال ظاهرة المجاملات الأدبية على جميع تفاصيل الواقع المأزوم والمثقل بكثير من المعاناة والإختناقات النفسية التي قيدت حركة النقد البناء ، خصوصاً عندما اخترقت بعض المفردات الأكترونية لغة الكتابة ، فصار إعتيادياً عند بعض المثقفين أن يضمّن حديثه (تم بموافقة الأدمن ..) يريد بذلك (المدير) . ويبدأ أحدهم منشوره قائلاً : (الأخوة في الكروب) يريد بها المجموعة او التجمع .

مضامين ثقافية

اتسم طابع بعض الندوات والمجالس الثقافية التي تعقد هنا وهناك، بإبتعاد موضوع المحاضرة أو الندوة عن قضايا الواقع . الأمر الذي جعل تلك المجالس الثقافية تنغلق على نفسها ويقتصر حضورها على كبار السن من مثقفين وأكاديميين ، فمن النادر ان تلمح وجود بعض الشباب في تلك المجالس الثقافية .

يبدو إن بعض المثقفين ، بتناولهم موضوعات لا صلة لها بالواقع يحاولون إيجاد متنفس لهم وهم يعيشون تحت ضغوطات كبيرة تسببت بها التغييرات التي طرأت على البلاد منذ بدايات القرن الواحد والعشرين ، التي لم يكن للمثقف دور حيوي فيها بعد ان خاطبت

سياسة السلطة الجديدة ثقافة المجتمع الشعبية دون ثقافة النخبة، واعتمدت كلياً على ثقافة المجتمع الشعبية ، بينما جاملت ثقافة النخبة . ذلك لأن ثقافة كثير من المتصدين للشأن السياسي ليست بالعمق الكافي الذي يجعل من الثقافة عندهم مشروع دولة . وقد كشفت كثير من تصريحات وحوارات ولقاءات وخطب ومواقف لسياسيين ، عن حدّة الفقر الثقافي الذي هم عليه .

هناك سبب آخر ، وهو إن الثقافة لم تزل مقتصرة على النخبة .. الأمر الذي جعل من الثقافة قضية خاصة ، أو لوناً ، أو مظهراً إجتماعياً يتسم به نفر من الناس فثقافة المجتمع شعبية . بسيطة طبيعية . غير متكلفة . وهي تشكل نسبة كبيرة في البلاد . بينما تصل ثقافة النخبة عند بعضهم الى درجات عالية من الدقّة والتنظيم والتعقيد والنقد والجرأة ، وهو ما يعلّل عزوف كثير من السياسيين عن مخاطبة النخب الثقافية ، بينما يتفننون في التقرّب الى طبقات المجتمع الأخرى .

في نقد ثقافة الدولة

الثقافة الإنسانية هي الثقافة التي يعوّل عليها الحفاظ على بنية المجتمع لقدرتها على حفظ القيم والمثل العليا والأخلاق بما يتوافق وطبيعة حياة المجتمع . فالانسان هو الكائن الحي الوحيد الذي لديه القدرة على إعطاء معنى لكل شيء ، وهو الوحيد القادر بثقافته

الخاصة على أن يعطي فهماً لذلك المعنى . إيماناً من (أفلاطون) بسيادة العقل فقد أعلى من شأن الفلاسفة والمفكرين في جمهوريته . في حين حرص كثير من الحكّام على مرّ التاريخ على رعاية الجهل والفقر في المجتمع ضماناً لإخضاع الناس لطاعتهم . فعندما تغيّرت الأحوال بدخول الناس عصر التطور التقني وعصر البيانات والمعلومات ، تغيّرت أدوات السلطة الحاكمة وبقي الهدف ذاته .

فقد إستبدل الفقر والجهل ، بالإستهلاك والثقافة المعلبة في جو من الفوضى والسرعة ، بدعوى اننا نعيش عصر التطور العلمي الهائل وعلينا أن نركض لكي نلحق بركب العالم المتطور . إذ لم يعد الفقر متوافقاً مع التطور الصناعي الذي يحتاج الى سوق ومستهلكين ضماناً لإستمراريته . لذا جاءت مشاريع التمويل والقروض والتسهيلات المصرفية وزيادة مرتبات الموظفين وهو الإجراء الذي فهمه بعضهم على انه إنتعاش إقتصادي ومنجز حكومي . فهو وان كان كذلك ، إلا انه ليس منجزاً خالصاً لمعنى الإنتعاش الإقتصادي وخدمة المجتمع لأهداف انسانية ، بل يُراد به تهيئة وإعداد مجتمع كثير الإستهلاك ، يقضي كل وقته في العمل والتسوّق . حتى بدت قدرة الفرد على التسوّق ومتابعة أحدث منتجات شركات الإنتاج وبضائع الأسواق مؤشراً على تحضره وثقافته .

لم يعد الجهل متناسباً مع التدفق الهائل للبيانات والمعلومات ،

ومساحة التواصل والإتصالات العابرة للحدود الجغرافية والقوميات واللغات . فكانت الفردانية والحرية الشخصية في ظل ثنائية الفوضى والتسارع هي ثقافة المرحلة الجديدة . وهناك مشروع ثقافة عالمية ينتجها النظام العالمي بالقوى الكبرى المتنفذة فيه ، يُراد تمريره على جميع الناس من خلال حاجتهم المستمرة والمتواصلة الى إستخدام شبكة الإنترنت بما توفره هذه الشبكة من قوى جذب مغرية تشدّ المستخدم اليها وتجعله متسمراً أمام الشاشة ساعات قد لا يسعها عمر الليل عند بعض الشباب فتأكل من بعض ساعات نهارهم . فكلما وفّرت الحكومة خدمة إتصالات متميزة ومحكمة ، كلما ضمنت مساحات أكبر وفرصاً اكثر في البقاء في السلطة . فعندما يصل الفرد الى مرحلة لا يعود فيها قادراً على إنجاز كل مهامه أو بعضها ، بعيداً عن إتصاله بشبكة الإنترنت ، أو لعله يشعر بالفشل أو العجز عن القيام بأي نشاط بدون ذلك الإتصال ، عندها يصبح جانبه مأموناً ما دام مهموماً بدوام إتصاله بالشبكة .

الثقافة الرسمية

في مؤسسات الدولة الثقافية لا يبدو العقل الثقافي الرسمي متفقاً في كثير من خطواته مع توجهات العقل الثقافي العام المستقل عن إرتباطاته الرسمية فيما يخصّ جوهر الثقافة ومشروع تمكين المجتمع ثقافياً . إذ يقتصر نشاط المؤسسة الثقافية الرسمية في كثير

من الأحيان على النمط التقليدي الروتيني المتعلق بلبس الأربطة ، وقص الأشرطة ، والحضور الشكلي والمبرمج للمهرجانات والملتقيات والمعارض الفنية ومعارض الكتاب و .. و ..

كثيراً ما يستغرق النشاط الثقافي في مؤسسات الدولة في البعد الإداري المصاب بعدوى روتين دوائر الدولة الأخرى . ان الفارق الوحيد الذي يبدو واضحاً بين المؤسسة الثقافية كدائرة حكومية رسمية وبين أي دائرة خدمية أخرى هو ان الموظف فيها يستقبلك بعبارة " تفضل أستاذ " بينما يستقبلك الموظف في دائرة حكومية أخرى بعبارة " تفضل أخي " ، ويخضع المثقف كما المواطن البسيط للروتين الإداري الذي تختفي فيه كثير من ملامح انسنة الوجود البشري . من المؤسف أن تصاب ثقافة الدولة الرسمية بهذا الوباء ويصبح المثقف الحكومي ناقلاً لهذا الفيروس .

بتحرير الثقافة من أجندات السلطة السياسية وإدخالها في منظومة المجتمع كطريقة حياة ، سيتمكن المثقف من تحقيق حالة توازن في معادلة الحياة اليومية للمواطن الذي يتعرّض لمختلف انواع الضغوط النفسية التي يسبّبها التعثّر المتواصل والفشل الإداري للسلطات الحاكمة ، الذي بات مزمناً بتعاقب السنين وغياب الحلول الجذرية .

ترقين قيد مثقف

في بداية عام 2024م قصد مبنى إتحاد الأدباء والكتاب في بغداد أحد اساتذتنا من الأدباء والنقاد الذين مضى على إنتمائهم الى الإتحاد ما لا يقل عن ثلاثين عاماً . شاءت ظروف البلاد القاهرة في سنواتها العجاف ، حيث فترة الإرهاب ، مضافاً اليها ظروف الأديب الصحية وتقدّمه بالعمر ، أن تحول دون مراجعته مبنى الإتحاد لغرض تجديد عضويته . ولما تهيأ له الوقت والظرف المناسبين تفاجأ بأحد موظفي الإتحاد وهو يخبره ان إدارة الإتحاد قد رقنت قيده . ولكي يعيد انتسابه عليه ان يتقدم بطلب جديد .

اندهشت كثيراً وتألمت وهو يحكي لي ما دار معه في صباح ذلك اليوم في مبنى الإتحاد ، فسألته هل قدمت طلباً جديداً ؟ قال : لشدة امتعاضي من سوء التصرف وسماجته ، اعتذرت عن كتابة الطلب كوني لا اتمكن من الكتابة وطلبت من الموظف ان يقوم بذلك بدلاً عني ، ثم غادرت المبنى .

تحت عنوان " ترقين قيد مثقف " نشرت على حسابي الخاص في الفيس بوك منتقداً هذا التصرف دون ذكر اسم الأديب نزولاً عند رغبته .

كان من بين التعليقات على الموضوع الذي انهيته مستفهماً : هل في

هذا الإجراء شيء من الثقافة ؟. تعليق قال صاحبه : بل قل هل في هذا الإجراء شيء من الأدب .

أجد في ها الموضع ضرورة الإشارة الى الحسّ الثقافي الإنساني الذي ابداه عدد من المثقفين ممن قراوا المنشور ، إذ عرض بعضهم مساعدته بالتدخل شخصياً لتسوية المسألة وطلبوا مني اسم ورقم هاتف الاستاذ المرقن قيده للتواصل معه من أجل إنصافه . مقابل هذه المواقف الإنسانية الثقافية . كان موقف الموظف المثقف الرسمي الملوث بروتين الدولة الإداري ، فحين بعث أحد الأدباء بنسخة من المنشور الذي كتبتُه الى أحد المسؤولين في إدارة الإتحاد متسائلاً عن هذا التصرف أجابه برسالة صوتية ، بعث لي الأديب المتفضل نسخة منها ، قال فيها انه إجراء إعتيادي تتخذه الإدارة بسبب إنقطاع العضو الذي لا يُعلم إن كان مريضاً أو مسافراً أو ميتاً ، وهو إجراء مؤقت لا يقصد منه الإساءة الى العضو ، وينتهي بمجرد إعادة تقديمه طلباً جديداً للإنتماء على وفق السياق الروتيني .

في حادثة أخرى ، قصد أحد الكتّاب والمؤلفين مبنى إتحاد الأدباء في بغداد لطلب الإنتساب ، فسأله الموظف عن عطائه الثقافي .

أخبره الكاتب ان لديه مؤلفات تجاوزت الخمسين كتاباً مطبوعاً في الفكر الإسلامي . ردّ عليه الموظف : لا نريد كتباً في الفكر الإسلامي ..

هل لديك رواية أو قصّة أو ديوان شعر أو كتاب في الأدب . قال له الكاتب : اليس هذا اتحاد الأدباء والكتّاب ! قال له الموظف : بلا ولكننا نروّج معاملات أصحاب الأعمال الأدبية والفنية . حصل هذا فعلاً مع أحد الأصدقاء عام 2023م .

وفي لقاء مع شخصية ثقافية شغلت منصب رئيس إتحاد الأدباء والكتاب في بغداد سنة 2021م ، أجرته احدى القنوات الفضائية سئل عن الإنجازات التي قدّمها الإتحاد في عهده ، فكان من بين ما أجاب أن ادارة الإتحاد لم تطالب الاعضاء بدفع الإشتراك المالي كما كان متبعاً في العهد البائد!.

يروي أحد الأدباء انه حين قصد مبنى الإتحاد سنة 2010م لتجديد هويته ، سأله الموظف عن تاريخ انتمائه الى الإتحاد ، فقال له سنة 1976م . نظر اليه الموظف وقال له مبتسماً : (انت واوي عتيك استاذ) !.

لا حياة بدون ثقافة

ماذا يريد المثقف من وزارة الثقافة ومن اتحاد الأدباء والكتاب ؟

ماذا يريد المجتمع من الثقافة والمثقف ؟

هل الثقافة التي نبحث عنها هي صفة أصحاب الشهادات والمواقع الإجتماعية والقيادية والمهن العليا . أم هي ثقافة المجتمع ؟

هل ما يتم تداوله عبر وسائل التواصل الإجتماعي وأجهزة الموبايل والحواسيب والإنترنت هي ثقافة عالمية أم غزو ثقافي ؟

لا يرى كثير من المثقفين ، معنى للحياة في أي مجتمع من دون ثقافة معنية بحياة الناس وشؤونهم وتطلعاتهم ومعاناتهم . فالثقافة تمثل عندهم جوهراً للحياة .

عادة ما يُصار الى تقسيم الثقافة الى ثقافة شعبية وأخرى راقية . يختلف علماء الإجتماع على مفهوم الثقافة من حيث كونها واحدة أم هي ثقافات مختلفة ، منهم من يذهب الى تقسيم الثقافة الى نوعين: نوع مرتبط بالمنجز المادي كالإختراعات والصناعة .. ونوع مرتبط بجوانب الشخصية المتعلقة بالسلوك والأخلاق والعواطف والقيم والمثل العليا . الثقافة مفهوم أوسع مدى من إنتاجات المبدعين في مجالات الأدب والفن والمعرفة . فهي محتوى يضم قيم المجتمع وتراثه وأفكار الناس وإنتاجاتهم على إختلاف أعمالهم ومجالات معارفهم ومدياتها . ينتقل هذا المحتوى من جيل الى جيل آخر عبر الرابطة الإجتماعية التي تحكم علاقة أبناء المجتمع ببعضهم . من هنا نشأت المخاوف إزاء مفهوم الثقافة الكونية أو عولمة الثقافة ، كونه مفهوماً يحمل معنى تذويب الثقافات المحلية ودمجها في ثقافة عالمية ، وهو ما قد يهدّد الروح الإجتماعية التي تتحكم بآلية انتقال المحتوى الثقافي لمجتمع ما أو لبلد ما من جيل الى الجيل الذي يليه، بحيث تفقد الثقافة المحلية خصوصيتها .

الثقافة وانثروبولوجيا المجتمع

في كتابهما " الثقافة عرض نقدي للمفاهيم والتعريفات" قدّم كل من العالم في مجال الانثروبولوجيا الثقافية الامريكي الفريد كروبر Alfired Louis Krober (1876 - 1960) والعالم الامريكي كلايد كلاكهون Clyde Kluckhohn (1905 - 1960) . قرابة 164 تعريفاً لمفهوم الثقافة . يرى " كروبر" ان اول ظهور لكملة ثقافة كان في قاموس الماني عام 1793م .

يرى الانثروبولوجي الامريكي " مالينوفسكس " ان الثقافة : " كل متكامل من الأدوات والسلع والأفكار والمعتقدات والأعراف لمختلف الفئات الاجتاعية".

أما الانثروبولوجي " رادكليف براون " فيقول عن الثقافة انها (جملة

اكتساب التقاليد الثقافية ، كما انها العملية التي تنتقل بها اللغة والمعتقدات والأفكار والأذواق الجمالية والمعرفة والمهارات) .

في أنشطتنا الثقافية والإجتماعية اليوم ، أعمال أدبية وعلمية وفنية رائعة ، فيها من الإبداع ما يدعو الى الفخر وفيها من الهمّة ما يدعو الى الزهو وفيها من الأصالة ما يدعو الى التباهي ، لكن واقعنا المأزوم بكثير من المشاكل الإجتماعية ، والتذبذبات الإقتصادية ، والإضطرابات الأمنية ، والصراعات السياسية يدعونا الى التساؤل

عن غايتنا من الثقافة. وما إذا كان اللون التقليدي للثقافة لا يزال فعالاً في مثل مرحلتنا الحرجة التي نعيشها منذ مطلع القرن الواحد والعشرين . إننا بحاجة الى ثقافة تخاطب في المتلقي العقل والنفس والقلب معاً .

إننا بحاجة الى دور جديد للثقافة من خلال علم الإنسان (الانثروبولوجيا) الذي تقوم دراساته على المعايشة الميدانية لظروف حياة مجتمع ما في فترة زمنية معينة وفي مساحة جغرافية محددة وتدوين تلك الأحداث بتفاصيلها الواقعية ، ثم عرضها على التحليل والتفكير والتأمل من اجل الوصول الى نتائج تخدم تجاوز الإخفاقات وتحقيق الإنجازات .

دور نقدم فيه حلولاً تنقذ مجتمعاتنا من آثار الأعراض الجانبية

لمخرجات عصر التقنية المتطورة بمنتجاتها الآلية فائقة السرعة . عالية الدقة . التي تسبب إستخدامها الخاطىء من قبل الناس في كثرة المشاكل الإجتماعية وإرتفاع معدلات الطلاق والإنتحار والإدمان والأمراض النفسية والعنف الأسري وجرائم القتل وحالات الغش والتزوير والإبتزاز والتسقيط الإعلامي والتشهير . ان من بين أهداف الثقافة حماية الناس البسطاء ممن يعيشون فقر التعليم ، وفقر المعيشة ، وفقر الرفاهية والجهل ، والمرض . لأن هؤلاء البسطاء

عرضة لإستثمار ظروفهم من قبل تجّار الأزمات لصالح فكرة معينة قد تضر بسلامة وجودهم . أو لصالح منفعة خاصة قد تفقدهم كرامتهم وحرية وجودهم وبناء انفسهم بعيداً عن أي تدخل خارجي .

لا معنى للحديث عن الثقافة دون الحديث عن المجتمع . فالثقافة والمجتمع يشكلان أهمية تبلغ حدَّاً يتعذر معه الفصل بينهما . وسواء أكان المجتمع هو الأساس أم الثقافة هي الأساس كما اختلف على ذلك نفر من العلماء ، فإننا نعتقد ان المجتمع هو الأساس وان الثقافة ضرورة حتمية لهذا الأساس لكي يستمر . ذهب مايكل كارذرس في كتابه (لماذا ينفرد الانسان بالثقافة ؟) الصادر عام 1992م الى ان المجتمع أو العلاقات الإجتماعية هي الأساس وليست الثقافة .

إن تمكين المجتمع ثقافياً هو اليوم حاجة ملحّة تفرضها التشوهات التي اخذت تنعطف بالمفاهيم العامة باتجاه التطرّف والتحوير حين دخلت الأخلاق ، ودخل الفكر الى سوق العرض والطلب ، وحلّت لغة الجسم مكان لغة العقل ، ولحنت ألسنة المتكلمين بالعربية وصاروا الى اللهجة العامية أقرب منهم الى الفصحى في التعبير عن مواقفهم وعواطفهم ، واحتلت اللهجة العامية مساحة كبيرة على لسان كثير من المثقفين في المحاضرات والندوات والمؤتمرات والمهرجانات الثقافية ، ودخلت مشاكل البيئة والمناخ على خط الأزمات التي تكاد تعصف بالناس في مختلف أنحاء العالم بسبب

إرتفاع معدلات البطالة ونسب التصحر والجفاف وإزدياد أعداد الفقراء حول العالم ، خصوصاً في عالمنا العربي والإسلامي .

يرى الانثروبولوجي الأمريكي كارلتون كون carlton coon ان دراسة الثقافة لها من الأهمية اليوم ما يفوق أهمية دراسة علوم الذرة وعلوم الآداب . ويقول (إن في دراسة الثقافة مفتاح كرامة النوع الإنساني ومساواته في المستقبل كما انها قد تهدينا الى سبيل الخروج من الحيرة التي اوقعنا فيها عصرنا ، عصر التقدم الآلي الفائق السرعة..)(1)

في كتابه (الثقافة البدائية) الصادر سنة 1871م يقول إدوارد تايلور (الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في المجتمع) .

واقع حال كثير من انشطة المثقفين اليوم تشير الى انهم اقرب الى الذاتية منهم الى الموضوعية في عطاءاتهم الثقافية واذا ما اخذنا بأن الموضعية هي عقلنة الواقع في حدود الإمكانات المتاحة من أجل الحفاظ على البناء الإجتماعي من التداعي لمنع المجتمع من الإستسلام للظروف المعاكسة التي تمرّ به وتدفع بابنائه الى قبول واقع جديد مختلف عن طبيعة وطريقة حياتهم ، فإننا نتساءل عن

1- قصة الانثروبولوجيا – د. حسين فهيم – عالم المعرفة – الكويت – 1986- ص209

حدود الموضوعية الثقافية التي على المثقف في القرن الواحد والعشرين التمتع بها ؟ .

قد لا يسعنا القول إن بمقدور المثقف أن يكون موضوعياً أكثر منه ذاتياً، لكننا نستطيع أن نقول إن بمقدور المثقف أن يوظف ذاتيته في خدمة الموضوعية الثقافية .

يقول سلامة موسى في كتابه " مقالات ممنوعة " (الواقعية هي المعالجة الموضوعية التي تتفق وواقع الحال ، وليست المعالجة الذاتية التي تعتمد على الاغراض الشخصية . ولا يستطيع أحد منا أن يفصل الفصل التام بين ذاتيته الشخصية وما تحمل من أهواء وأغراض وبين واقع الحال في الأشياء والناس والمجتمع والفن .) (1). تتحرك المجاملات الإجتماعية في واقعنا الثقافي اليوم بنشاط أخذ يطغى على القيمة الحقيقية للمنجز الثقافي وللأثر الذي يمكن ان يحدثه في الواقع.

فصل الثقافة عن سياسة الدولة

منذ بدايات القرن الواحد والعشرين والعالم من حولنا يعيش تغييراً يراه بعضهم طبيعياً بحكم المنجزات العلمية والتطور الكبير في مجال الصناعة والتقنية الرقمية ومشاريع الذكاء الإصطناعي والحوسبة

1- مقلات ممنوعة – سلامة موسى – دار العلم للملايين – بيروت – ط1 – 1959 - ص17

والروبوت .. ويراه البعض الآخر تغييراً مقلقاً بسبب سلوكيات غريبة وخطيرة أخذت تظهر في ظل هذه التغييرات مدعومة بالدعوات والصيحات المتعالية المنادية بحرية المواقف والعواطف مع ما تقدّمه التكنلوجيا المتطورة من أدوات تخدم الكشف عن هذه الحريات .

مع الأخذ بنظر الإعتبار التوجه العالمي لدعم تلك السلوكيات الشاذة والثقافات الغريبة بدعوى الحريات الشخصية . ثم محاولات توفير حماية لتلك الحريات حول العالم .

أخذت معاناة المثقف العربي تتزايد في المرحلة الراهنة التي يغلب عليها الفوضى ، والتفاهة ، والتراجع الإخلاقي ، والفساد المالي والإداري ، وكثرة المشاكل الإجتماعية مع مطلع القرن الحالي ، وما يخبئه المستقبل من تهديد تراه بعض الرؤى المستقبلية واقعاً ما لم يحدث تغيير في النظام العالمي الذي لم يعد قادراً على تفادي ومواجهة ومعالجة مشكلات البيئة والمناخ والتصحر والمياه وإزدياد الطلب على الغذاء والطاقة وإزدياد عدد النفوس حول العالم وشحة الموارد الطبيعية وغيرها ..

وسط هذه الأجواء المضطربة يقف المثقف مهموماً مشغولاً قلقاً ، فهو معني بالواقع من جانبين : كمواطن مفروض عليه تدبّر شؤونه .. وكمثقف تُملي عليه مسؤوليته الثقافية أن يجد مخرجاً لهذا الضيق .

لا يمكننا أن نتجاوز الكم الكبير من المقالات والكتب التي تتناول الواقع وتبحث في سبل معالجة أزماته . كما لا يمكننا أن نتجاوز ازمتنا الحقيقية في ظل الإنموذج الأمريكي للديمقراطية المتمثلة في مشاريع تحوير المفاهيم وإلباسها ثياباً جديدة لا يجد المستخدم والمتلقي والمواطن بُداً من مجاراتها . خصوصاً وان التوجّه العالمي الجديد في ظل التطور العلمي ومشاريع الذكاء الإصطناعي يبحث في توفير حلول مُرضية تناسب واقع الحال وإن كانت لا تناسب الأصول والمنطق والقيم والمبادىء . هكذا يعيش المثقف اليوم محنته الحقيقية التي لا أظنني أبالغ إذا قلت إنه يعيشها لأول مرة في تاريخ الثقافة الإنسانية .

تبنّى بعض المثقفين دعوات فصل الدين عن الدولة وجعله على هامش حياة المجتمع وتحويله الى شأن فردي ، كحل من الحلول التي يُرتجى منها إخراج العالم العربي من أزماته وتحريك واقعه لإخراجه من دائرة التراجع والتأخر التي هو فيها .

بغض النظر عن دوافع تلك الدعوات وأهدافها ، فإن طبيعة المجتمع العربي طبيعة لا يغادرها الدين ، وان أي جهود إصلاحية خلاف تلك الطبيعة لا تعطي في تصوري نتائج مرضية . ولعل إنحراف السلطة السياسية عن روح الدين وهدفه الأسمى وهو

الإنسان ، كان من أهم أسباب الفجوة الآخذة بالإتساع مع مرور الوقت بين السلطة والمجتمع .

لا أجدني متفعالاً مع دعوة فصل الدين عن الدولة في عالمنا العربي لسببين :

الأول: انني ارى من خلال المعايشة الميدانية لواقع حياة الناس ان فصل الدين عن الدولة من شانه ان يغرق المجتمع اكثر مما يمكن ان ينقذه .

الثاني: انني لا ارى ان المشكلة تنحصر في الدين او في الدولة ، بقدر ما هي مشكلة ثقافية .

فالدين لوحده بلا ثقافة لا يمكنه اطلاقاً ان يطوي صفحة الطائفية في المجتمع .

كما ان حصر الدين في نطاق الطقوس وحدها لايمكن ان يسهم في تمكين المجتمع ثقافياً .

والسياسة لوحدها بدون ثقافة لا يمكنها اطلاقاً ان تتخلص من

المحسوبية والأنانية والمادية والحزبية . وان حصر السلطة في نطاق القانون وعسكرة إدارة الدولة لا يمكنه ابداً ان يسهم في تطوير المجتمع .

يبدو لي إن طرح فكرة فصل الثقافة عن جسم الدولة السياسي مع الإبقاء على تبعية المؤسسات الثقافية للدولة ، سيخرج المثقف الرسمي من عباءة السلطة السياسية التي طبعته بطابعها الروتيني التقليدي الذي لم يقدّم جديداً للمجتمع في مجال تمكينه ثقافياً . بهذه الدعوة يمكن للثقافة أن تعايش وعي الواقع وفهم ما ورائيات الطرح المباشر للإعلام الرسمي . فعندما تصبح المؤسسة الثقافية مؤسسة دولة معنية بتمكين المجتمع ثقافياً عن طريق آلية عمل تتبنى توظيف الدراسات الانثروبولوجية ثقافياً من أجل تقريب المسافات بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية ، بحيث يشرّع ذلك بدستور ، يمكن ان تتهيأ الأرضية المناسبة لظهور مجتمع مثقف مسؤول تحمل الثقافة عنده بعداً رسالياً وهماً إنسانياً لا تأثير للمصالح والعلاقات السياسية والشخصية فيها ، فمن المتوقع إن تتغير طريقة حياة الناس الى الأفضل .

بفصل الثقافة عن جسم الدولة السياسي سيتحرّر المثقف من روتين الأنشطة الشكلية الرسمية التي باتت عُرفاً تقليدياً ينتهي مفعولها مع نهاية الفعالية ، وبهذا الخروج سنصل بالمثقف الى الناس في البيوت والأماكن العامة .

بفصل الثقافة عن جسم الدولة السياسي وإلحاقها بالمجتمع ، سيتمكن المثقف من تنمية الحسّ الجمعي للناس للإرتقاء به الى حدّ

النهوض بالمسؤولية تجاه رموز وعلماء وشخصيات ثقافية واجتماعية ، قدّمت أعمالاً رائدة في مجال النمو الإيجابي لوعي الأمة ، اظطرتهم ظروفهم الصحية الى أن يكونوا في وضع يحتاجون فيه الى رعاية تفوق قدراتهم المادية ، ولطالما دفع كثير من هؤلاء حياتهم ثمناً لعدم إكتراث السلطة السياسية والمؤسسة الرسمية للثقافة لحالهم . كثيراً ما رأينا مشاهد مؤلمة وسمعنا أخباراً لا تسر عن شخصية ثقافية أفنت عمرها وهي تكتب وتطبع على نفقتها الخاصة، وكانت في بعض الأحيان تقتطع من قوت عيالها ما تؤمن به ثمن طبع كتاب يُرتجى منه تنمية حركة وعي الأمة ونهضة المجتمع وتحسين ذائقته الجمالية ونظرته الى الحياة . كثير من هؤلاء الكبار ماتوا وسط إهمال وإغفال المؤسسة الثقافية الرسمية التي لم تشعر بأدنى درجة من الإحساس بالمسؤولية الثقافية الإنسانية الوطنية تجاه رواد الثقافة في البلاد . فلم تتورع عن ترقين قيد أديب كبير لأنه غاب عنهم إثني عشر عاماً بسبب ظروفه الصحية الخاصة وظروف البلاد السيئة .

كم من أديب ناشد من على فراش المرض سلطة سياسية وثقافية . وكم سمعنا ذوي أحد العلماء وهم يناشدون السلطة لمساعدة والدهم العليل .

وكم شاهدنا صوراً حية لشخصيات ثقافية وعلمية وفية وهم على

فراش المرض ، قد أهملتهم سلطة الثقافة ونسيتهم المحافل التي كانوا يحضرون ويحاضرون فيها .

تأتي أهمية إثارة الحسّ الجمعي في المجتمع في وقت أخذت فيه السلطة التافهة ترعى وتتبنى شخصيات هابطة أسهمت مواقع التواصل الإجتماعي في دفعهم الى الواجهة بحكم عدد الإعجابات التي حصلوا عليها وعدد المتابعين الكبير الذي عدّه بعضهم شهادة على الصفة الاجتماعية لهذه الشخصية وعلى درجة تأثيرها في المجتمع ، وقد سُجّل على بعض المسؤولين السياسيين ومثقفي السلطة تكريمهم لعدد من هذه الشخصيات الفاشلة .

لكي لا يختلط الحابل بالنابل كما يقول المثل العربي ، فإننا ندعو الى فصل الثقافة عن جسم الدولة السياسي . آخذين بنظر الإعتبار ما الحقته السياسات الفاشلة والإدارات الروتينية التقليدية للبلاد من أذى وضرر منذ أكثر من عشرين عاماً منذ بداية القرن الحالي .

الثقافة في زمن الشاشات وشبكات التواصل الإجتماعي . هي في وضع أخطر مما هي عليه في حدود فتح مركز ثقافي هنا ، ومسرح أوبيت للثقافة هناك .

انه زمن صناعة الأحداث ، وفبركة التفاصيل . زمن يحتاج من المثقف دوراً أعمق وأخطر قد تصل خطورته حدّ التضحية بالنفس في سبيل إعادة يقظة وعي الجماهير التي شدّها العالم الإفتراضي

وأغرتها الوان الشاشات فلم يعودوا قادرين على بناء حياتهم بعيداً عن الوقوع تحت تأثيراتها .

الثقافة المعاصرة وشروط النهضة

انشغل العقل العربي في جانب من نشاطاته الفكرية بنقد الدين اكثر من اشتغاله على نقد ثقافة الدين ، فمضت مسيرة النقد بإتجاه التشنج بين المثقف والمعمم .

انعكس هذا التشنج على المشهد الحياتي للناس ، فأنصرف كثير منهم بعيداً عن هذه الأجواء المتشنجة التي لا يجدون في انفسهم المقدرة على التعاطي معها .

فلو ان المثقف توجه في نقده للعقل الديني الى المتلقي وحدّثه عن اهمية ان يكون الله سبحانه وتعالى حاضراً في تفاصيل حياته بطريقة غير التي يدعوها اليه المعمم ، وهي ان يرى الله في أعماله وحركاته ، وتلك الرؤية رؤية عقلية لا رؤية بصرية عيانية..

القول بأن عصر التقنية الرقمية هو عصر مادي ، لا يعني انه عصر يرفض الجانب العاطفي والإبداعي في مجالات الفن والأدب والموسيقى . لكن المقلق في الأمر هو ان يعكس المثقف شعوره العاطفي على واقعه المادي . فبدلاً عن توظيف العاطفة والإبداع في تخفيف وتلطيف الجو المادي لطبيعة العصر ، نراه يقلل من الشأن

الوجداني للفن والأدب ، أو يعمل على إدخال العاطفة والخيال والإبداع في خط إنتاج السلعة من أجل مزيد من الأرباح المالية المدافة بحسّ ثقافي . ظهر هذا الشعور أو تلك الرغبة عند بعض المثقفين الذين أخذوا يقيّمون الإبداع الأدبي والفني وعموم الإنتاجات الثقافية في مجالات المعرفة الإنسانية المتنوعة ، من خلال الأرباح المالية التي تحققها مبيعات الكتاب .

من شأن هكذا نظرة مادية ان تقلل من فاعلية خط الإبداع لصالح خط الإتباع ، فيحوّل المثقف مشروعه الثقافي الى مشروع خاضع لحاجة السوق لا لحاجة المجتمع ، وهو بذلك يهدّد حرف السين في كلمة إنسانية بالرحيل عن الكلمة لتتحوّل الى أنانية ..

إذا أصيبت الثقافة بهذا الوباء اعتلّ المناخ العام للمجتمع ، وفي اعتلاله تستوي ردّة الفعل أمام قصيدة كتبها شاعر من وحي خاطره ، أو كتبها حاسوب ذكي من رصيد ابجدياته الرقمية ، فيقل حظ الحضور الإنساني الى حدّ التساوي أو التنافس مع الآلة الذكية في حركة الحياة اليومية .

بين الماضي والحاضر

من المشاكل التي تعانيها ثقافتنا اليوم ان بعضهم راح يقيّم حاضره على وفق ماكان عليه الماضي ، فمال نفر منهم الى نقد الواقع لعدم مطابقته او لعدم تواصله مع الماضي .

ومال نفر آخر الى استحضار الماضي في أنشطة الحاضر الثقافية .

نفر ثالث نظر الى حاضره من خلال تجارب مجتمعات اخرى تميّزت بالتفوّق العلمي والتقدّم الصناعي وراح يصوّر المشهد الحياتي على وفق ما يرجوه لواقعه ، مع علمه باختلاف الطبيعة البشرية والطبيعة المكانية بين بيئته والبيئات الأخرى التي تأثر بها وأراد ان يرى واقعه من خلالها ، لكنه مع علمه بهذا الإختلاف ، لم يره إختلافاً طبيعياً ، بل وصفه بالتخلف في مجتمعات أمام مجتمعات أخرى متطورة .

المسافة بين المثقف والمجتمع

من مشكلات الثقافة العربية المعاصرة انها لم تعمل على تقريب المسافة بين المثقف والمجتمع بإتجاه تمكين المجتمع ثقافياً ، بل وجدت نفسها بحاجة الى تطويع ثقافة المثقف بحيث تكون في مستوى تقبّل الناس في مشهد حياتي لا يكترث لوجود ثقافة هادفة بقدر إهتمامه بوجود مادّة تغازل مشاعر المتلقي وتنال إعجابه ، فأضحت العلاقة الإجتماعية في جوّ الثقافة ، علاقة مجاملات

يظهرها بعضهم مع المثقف عبر مواقع التواصل الإجتماعي . انه امر لا يدعو الى القلق في هذه الحدود ، لكن مشكلة بعضهم انهم أخذوا يعتمدون تلك المجاملات كمصادر قوة يستندون اليها في حركتهم كمثقفين حقيقيين في المجتمع . حتى إذا ما وجهت اليهم إنتقادات من مختصين ، لم تحملهم تلك الإنتقادات على مراجعة الذات ومساءلتها ، بل حملتهم على التعامل مع ما يُوجّه اليهم من نقد على انه يندرج ضمن حرية الرأي التي عليهم تقبلها كمثقفين صار لهم رصيد من عبارات التفخيم والإعجابات التي تسببت في تعريض بعضهم الى الإصابة بتورم الذات .

الثقافة بين القيم والتقنية

من مشكلات ثقافتنا وبحكم هيمنة المشهد السياسي على الحياة العامة للمجتمع العربي لوقت طويل ، اننا اعتدنا على ان القيم والمثل العليا والأخلاق متعلقة بالعلوم الإنسانية كالتراث والتاريخ والادب واللغة ، ولم نتجاوز هذا الإعتقاد حتى بعد دخولنا عصر التقنية المتطورة ، فوقعنا في مشكلة التوفيق بين ما ورثناه من منظومة قيم عظيمة ، وبين ما تحاول آلة العصر فرضه كثقافة جديدة ، فلو غادرنا فكرة الثقافة المقتصرة على الأدب والفن الى فكرة الثقافة المنفتحة على طبيعة حياة الناس لأمكننا ان ننقل منظومة القيم والمثل العليا التي تركها لنا الآباء والأجداد الى واقعنا

التقني العلمي المتطور ، فمن المؤكد ان لا تقاطع بين التوجه العلمي التقني وما يذهب اليه علم الإنسان ..

بين ثقافة الإلهام وثقافة الإلمام

عن الثقافة في العصور القديمة يمكننا القول ان ثقافة العرب كانت ثقافة إلهام ، بينما كانت ثقافة الروم والفرس ثقافة إلمام . فالعرب في الجاهلية لم يكن لديهم علم قائم ، بل كانوا يستنتجون ما لديهم من حِكم وأمثال وضوابط اجتماعية من تجاربهم الحياتية ، بينما كانت ثقافة الفرس والروم متعلقة بالتأمل وقراءة الكتب والدراسة ..

بعض مثقفي عصر العولمة وعصر التقنية والتغريب الثقافي يصف الذين لا يزالون مرتبطين أو لا يزالون وثيقي الأرتباط بالتراث ، بأنهم مرضى ، لأنهم يطلبون من تراثهم ومن حضارتهم السابقة ومن كتب أسلافهم القديمة أن تجيبهم عن اسئلة افرزها واقعهم الحياتي الجديد .. في تقديري ان هؤلاء ليسوا مرضى ، لأنهم لا يبحثون في الكتب القديمة عن أجوبة لأسئلة جديدة ، بل يبحثون في الكتب القديمة عن الطرق التي كان يستخدمها أسلافهم في تعاملهم مع المتغيرات التي واجهتهم في ذلك الوقت .

هناك مثقف مع ثقافة الوضع الراهن ، وليس مع ثقافة تغيير الوضع الراهن ، لذا نجده يتحرك بنشاطه الثقافي من أجل ان يصبح على

مقربة من أصحاب السلطة والنفوذ ، أو ان يكون جزءأ من ثقافة السلطة السياسية .

اما المثقف الذي يريد من نشاطه الثقافي ان يسهم في تغيير الواقع للإرتقاء بالمجتمع الى ما ينبغي أن يكون عليه ، فهو مثقف مثقل بالهم والعمل الفردي ، يكتب لعدد محدود من القرّاء ، يكتب وينشر ويطبع كتبه بجهده الذاتي ، يوزع كتابه مجاناً في أغلب الأحيان ، فلا تستضيفه ثقافة السلطة في إحدى مؤسساتها الثقافية ولا تكرّمه كما تفعل مع اعضائها المنتسبين اليها ، وحتى إذا لجأ الى منصات التواصل الإجتماعي وأخذ ينشر أفكاره ومقالاته فلا تجد له من المتابعين بقدر عدد متابعي المثقف الرسمي .

بين المعمّم والسياسي

لم يتفاعل رجل السياسة مع مشروع تمكين المجتمع ثقافياً خوفاً من ان يتسبب ذلك التمكين في توليد قوة دافعة في المجتمع تحرك الناس بإتجاه تغيير ذلك السياسي . لذلك اقتصرت اهتمامات رجل السياسة بالأنشطة الأدبية والفنية في مجال الثقافة ، مما حرم الثقافة العربية من فرصة التطور بالرغم من كثرة مدارس الموسيقى والمكتبات الرسمية والمعارض الفنية .

كما ان رجل الدين لم يتفاعل مع تمكين المجتمع ثقافياً خوفاً على

الدين مما تحتمله كلمة ثقافة من إنفتاح على الغرب خصوصاً بعد سنوات الإستعمار ، والإحتلال ، والبعثات الدراسية ، والسفر والعلاقات التجارية . لذا تركز إهتمام رجل الدين على التزام الطقوس الدينية وحثّ الناس عليها . فمداومة الإلتزام تورث التطبع والإعتياد، وفي هذا الإعتياد ما يبعث على إطمئنان رجل الدين من ديمومة حضور الدين في طقوسه وبسبب هذا القلق فقد تأخر تطور ثقافة المجتمع .

ولعل الناقد يلمح عند بعض المتحدثين في التجديد الثقافي وهم يناقشون دور الدين الحضاري في عصر التقنية ، ان لديهم توجهات مدعومة ، أو توجهات ملغومة ، أو توجهات منضوية ضمن خط سير إنتاج المشاريع الإقتصادية الصناعية السياسية العالمية ، ترمي الى تعويق أي محاولة لإعادة تشغيل خط إعادة إنتاج الحضارة . ويبدو لي ذلك من خلال طروحاتهم التي تتحدث عن إنقضاء ذلك الزمن الذي يسمح بتعدد الحضارات ، ففي عصر الآلات الذكية لا مكان إلا لحضارة واحدة تندرج فيها كل الثقافات المختلفة ، تلك الحضارة التي نجحت على مدى اربعة قرون تقريباً في الغرب ، هي اليوم الحضارة الوحيدة التي يتم فيها تحديد السمات والصفات والمزايا لكل مجتمع حسب قوة استجابته وحسب قدرة استهلاكه وحسب طاقة استثماراته في النظام العالمي الجديد الذي يتجه نحو امركة العالم ثقافياً .

ثقافة الإدّعاء

من المخاطر التي تواجهها ثقافتنا اليوم هو ظهور اشخاص يدّعون مسؤوليتهم الكاملة عن صحّة ودقّة تصريحاتهم كمختصين ومعنيين ومثقفين فينالون بتلك التصريحات من قيم في المجتمع كونها تعيق التحاق الناس بركب العالم المتطور اليوم. وانه ينبغي التخلي عنها ومغادرتها .. يحدث هذا في وقت لم يعد فيه كثير من الناس يمتلكون من الصبر والحكمة ما يكفي لتدبّر الأمر وإعطاء إحتمال أن يكون اولئك الأشخاص يتحدّثون من واقع إنتماءاتهم لجهات داعمة ، هدفها إثارة روح الضجر والملل بدل روح الصبر والأمل .

الثقافة بين الضرورة والحاجة

ومن الصعوبات التي يواجهها المشروع الإنساني للثقافة في العالم العربي في عصر الآلات الذكية هي ان الثقافة لم تعد في نظر كثيرين تمثل ضرورة ، مثلما يرونها تمثل حاجة يكتمل بها مشهد الحياة الشكلي الإجتماعي .

كما ان العلاقة بين المال والنجاح أصبحت أقوى في ظل التطور العلمي والتقني المتسارع من العلاقة بين الثقافة والنجاح ، واصبحت معادلة المال والنجاح تساوي السعادة ، حيث المال يقود الى النجاح، والنجاح يحقق السعادة . ولم يعد مجدياً عند كثير من

الناس ، التفكير بالدخل الثقافي قدر انشغالهم بالدخل المالي ، خصوصاً وان مشاريع الإقتصاد العالمي نجحت من حيث فشلت مشاريع السياسة في حل كثير من مشاكل العالم في العقود الأخيرة .

كما ان الشاشات الملونة وأزرار التحكم حفّزت على التفكير في تحسين وتطوير وزيادة الدخل المالي على حساب الدخل الثقافي ، بل اعتبرت الدخل الثقافي من نتائج تحقق الدخل المالي وليس العكس . وصارت الثقافة العربية المعاصرة أمام تحدٍ خطير جداً قد يلقي بها الى رصيف الوجود البارد لحياة المجتمعات .

يكمن هذا التحدّي في ان الشاب العربي في عصر التطور التقني الرقمي والشاشات الملونة ، لم يعد يمتلك مزيداً من الوقت مع حاجة به شديدة الى الثقافة . وهنا يأتي دور المثقف في تقديم لائحة من الكتب العربية البارزة ذات الصلة بحاجة الشباب الى القراءة بما يتناسب مع الوقت القليل الذي يسمح به ظرف الحياة اليومي . فأي كتاب ستختار الثقافة اليوم ؟ ومن سيحدّد هذا الكتاب ؟ ، لا شك انه تحدٍ خاسر ، خصوصاً وان الثقافة نفسها لم تسلم من التسليع في خطوط انتاج شركات النظام العالمي الجديد .

الثقافة بين العقيدة والمعرفة

ومن الصعوبات التي تواجهها ثقافتنا العربية اليوم هو ان ثقافة المجتمع العربي التقليدية قامت على فهم الأشياء والكلمات عن طريق العقيدة وليس عن طريق المعرفة . فالعربي يعطي معنى وتعريفاً للكلمة بناء على ما يتولد عنده من إحساس نحو تلك الكلمة وذاك الشيء ، لذا قد تأتي أكثر هذه التعريفات بعيدة عن حقيقتها ، ومما يجعل مهمة الثقافة في عصر التقنية مهمة معقدة هو ان اللغة لم تتطور في المجتمع العربي تطوراً ملحوظاً له أثره ، وهو ما يجعل دور اللغة في تطوير ثقافة المجتمع دوراً محدوداً . لأن فاعلية دور اللغة مرتبط بتطورها ، ولأن هذا التطور لم يحدث بشكل يدعو الى توظيفها في خدمة مشروع تمكين المجتمع ثقافياً ، لذلك تواجه الثقافة العربية المعاصرة مشكلة كبيرة تسببت في انحسارها واقتصارها على فئة من المثقفين ، وكان ينبغي ان تكون كل جغرافيا العالم العربي هي مساحة تحركها .

الثقافة والضغط النفسي للفرد والمجتمع

ومن تحدّيات الثقافة اليوم هو ان الضغط النفسي الشديد الذي يتعرّض له الإنسان العربي بسبب ظروف الحياة المتقلبة والصعبة ، خصوصاً ما تعلق منها في تأمين الدخل اليومي ودخول الفقر في عصر الآلات الذكية في مرحلة فقر الرفاهية .

لقد قيل في تشخيص الذين يمشون في منامهم ويرتكبون اخطاءً وربما يلحقون أضراراً بأنفسهم والآخرين دون وعي منهم ، انهم واقعين تحت ضغوط حياتية عنيفة مكتومة في نفوسهم يمنعهم واقعهم او اوضاعهم الخاصة ، وربّما طبيعة المجتمع من التعبير عنها ، لذلك تظهر آثار ذلك الغيظ المكتوم في النوم .

في واقعنا اليوم يرتكب كثيرون في يقظتهم ما يرتكبه النائم من أضرار خلال نومه ، فقد نجد كثيرين يرتكبون اخطاءً فادحةً فاضحةً ، وربّما جرائم .. حتى إذا ما جوبهوا بها ووجهت لهم أصابع الإتهام والإدانة قالوا انهم لا يعلمون لماذا أو كيف فعلوا ما فعلوه .

هنا تبلغ مهمة الثقافة العربية المعاصرة درجة من الصعوبة البالغة في كيفية مداواة هذا الغيظ المكظوم في النفوس والمحبوس في الصدور وهي تواجه نمطاً غريباً من أنماط الحياة بسبب وقوعها تحت ضغوطات كثيرة ومتنوعة تكاد ترهق المواطن اكثر مما كانت ضغوطات حياة الأمس .. ليس السبب في ان اعتقاد الجيل السابق كان اصح من معرفة الجيل الحالي ، وانما لأن اعتقاد الجيل السابق كوّن عندهم فهماً مقبولاً متّسقاً مع طبيعة حياتهم في ذلك الوقت . أما معرفة الجيل الحالي فلم تكوّن لهم فهماً واضحاً يتناغم مع طبيعة حياة اليوم . لذلك كثرت هموم ومشاغل ومشاكل أبناء جيل اليوم ، وبالتالي ضغوطات الحياة عليه أكثر مما واجهه جيل الأمس .

كان المفهوم المتشكل في أذهان الناس في السابق يستند الى قاعدة عقائدية ، فكانت مفاهيم القدر والرزق والسعادة والقناعة مستمدة من إعتقاد ديني هيء لهم مناخاً آمناً تتحرك في اجوائه حياتهم البسيطة الطيبة آنذاك . أما هذه المفاهيم نفسها فإنها تأخذ اليوم عدّة معاني إستناداً الى المعرفة التي يعتقدها كل شخص أو كل فئة ، فلم يعد هناك فهم عام . بتعدّد المفاهيم تتعدّد الاجواء وبتعدّد الاجواء يضطرب المناخ . وبوجود شبكة اتصالات بهذه المساحة الكبيرة التي يوفرها عصر التقنية الرقمية فقد تشعبت طرق البحث عن فهم عام وشامل للكلمات والأشياء ، وبسبب هذا التشعب أو التنوع أو التعقيد بدت حياة اليوم غير مستقرة ، وبدت حياة الأمس جميلة في أذهان وتصورات كثير ممن يعيشون دوامات الحياة اليومية وضغوطاتها .

لهذا السبب ظهرت المشاكل الشخصية والمشاكل الاجتماعية بشكل ملفت مع انها كانت موجودة في السابق لكنها لم تكن لتشغل الا مساحات ضيقة في بعض النفوس المنهارة ، أما عامة الناس فقد كان الفهم العام للكلمات والأشياء يحفزهم على الصبر والقناعة والعمل ويحركهم بعيداً عن القنوط واليأس والإحباط .

الثقافة بين الخبرة الإنسانية والتقنية الآلية

من الصعوبات التي تواجهها ثقافتنا اليوم هي تأثير التقنية الرقمية في الخبرة الإنسانية تأثيراً يحمل العقل العربي المعاصر على إعادة تشكيل خبرته بعيداً عن الموروث الثقافي للدين ، والمروث الثقافي للقيم بعدما ظهرت عليه علامات الشك بقدرة هذا الموروث الثقافي على معالجة مشاكل الفرد العادي ومواكبة مشاغله بكفاءة عالية . الأمر الذي انعكس سلباً على الثقة بالموروث الثقافي للدين كقوة فاعلة قادرة على تحريك عجلة الحياة اليومية كما تفعل ماكنة الإنتاج الرقمي الصناعي اليوم حول العالم .

هناك مشكلة اخرى وهي ان التطور العلمي التقني حول العالم يسير بسرعة أكبر من سرعة النضج النفسي للفرد العربي ، واكبر من التطور الجمعي للوعي . وتأتي حالة اللاتوافق او حالة اللاتوازن هذه لصالح ميكانيكية الآلة الرقمية على حساب ميكانيكية النفس والمشاعر .

يقول هـ . أ . أوفر ستريت في كتابه (العقل الناضج) (الإنسان الحديث يتميز عموماً بإحساس بالعجز في مجال السياسة ، فهو لا يحس في نفسه القدرة أو الكفاية في هذا المجال. ولا يقتصر الأمر على ذلك وإنما يتعداه الى ميادين أخرى سادها هذا الإحساس بالعجز - من هذه الميادين ميدان العمل ..) (1) .

1- العقل الناضج – هـ. أ. اوفر ستريت – ترجمة د. عبد العزيز الفوصي ، محمد عثمان – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط2 – 1963 – ص222

الثقافة بين عقيدة الجماهير وعقيدة السلطة

من الصعوبات التي تواجهها ثقافتنا اليوم هي ان التصادم الذي كان يقع بين الأنبياء والسلاطين من أجل دعوة الناس الى توحيد الله ووحدة الإنسان قد تحوّل الى مواجهة بين الجماهير والحكومات . فالجماهير تعيش عقيدة توحيد الله وتناضل في سبيل حرياتها وكراماتها في ظل هذه العقيدة . أما الحكومات فقد دخلت على خط إعتقاد الجماهير ووظفت ذلك الإعتقاد لصالح عقيدة السلطة بقدرتها على احتواء عقيدة الجماهير وتسخيرها لمصلحة البقاء في المناصب والظفر بالمكاسب . واستمر هذا الصراع والتصادم حتى عندما دخلت العلاقة بين الجماهير والحكومات مرحلة صناديق الإقتراع والتداول السلمي للسلطة ، مما نتج عنه تعقيداً في فهم أسباب تأخر المجتمع العربي . هل يكمن في المجتمع أم في السلطة أم في الدين أم في الثقافة ؟

الثقافة بين روتين إدارة الدولة وحق المواطن

في مشروع تمكين المجتمع ثقافياً تواجه ثقافتنا مشكلة غلبة السياق الإداري للأداء الوظيفي في مؤسسات الدولة على حقّ المواطن ، وعلى معنوياته ، فقد يقع الموظف الحكومي في خطأ أثناء عمله ، وقد يدرك خطأه فيصعب عليه تداركه بعد ان يكون الروتين الإداري

الصارم قد اخذ مساره في إمضاء الخطأ ، بحيث يشكّل تدارك الخطأ خطراً أو ضرراً على سلامة استمرارية عمل الموظف في وظيفته ، وهو ما قد يسيء الى معنويات المواطن أو حقوقه ، خصوصاً فيما يتعلق بقطاعات التعليم والصحة .

ففي قطاع التعليم مثلاً يحصل ان يقع المعلم في خطأ كتابة الدرجة التي يستحقها الطالب في الإمتحان ، فيستلم الطالب درجته التي قد يكتشف انها ليست استحقاقه فيعترض عليها ، وقد يأتي اعتراضه لصالحه حين يكتشف المعلم انه أخطأ في نقل الدرجة أو جمعها ، ولأن الضوابط الإدارية تمنع (حك أو شطب الدرجة في سجلات المدرسة) ، فقد يحصل ان يُقنع المعلم تلميذه انه سيعوّضه في المرّة القادمة . حتى إذا حصل ذلك فإن الإنزعاج النفسي أو الألم النفسي الذي تولّد عند التلميذ لن يمحوه وعد المعلم بتعويضه في المرّة القادمة . يتسبب هذا الحال في امتلاك التلميذ شعوراً مكظوماً بالغبن يبقى محفوظاً في النفس وان تقادمت عليها السنين ، الأمر الذي يصيب علاقة الفرد بالمحيط بنوبة برد تترك اعراضاً جانبية غير محمودة في ثقافته .

كذلك الحال في قطاع الصحة وغيره من القطاعات الحكومية ، فقد يحصل ان يقصّر الطبيب في علاجه أو يُخطئ في التشخيص الذي يترتب عليه وصف العلاج الخطأ الذي ربما يضر المريض ان لم ينفعه

. وقد مات بعض المرضى بسبب هكذا أخطاء ، وتسبب بعضهم في تعريض مرضاهم الى أزمات وإصابات ضارة لا يسمح الروتين الإداري بمداواتها ، ولا هو يفسح مجالاً للنبض الإنساني في أن يخفق في أجندات إدارة أعمال هذه المؤسسة أو تلك .

عقلنة العاطفة

من معوقات تكوين وتمكين أي مشروع ثقافي لإنسنة الوجود البشري في المجتمع العربي المعاصر ، هو ان العاطفة في الشخصية العربية هي التي تهيئ للعقل أجواء التفكير . وهي ذاتها التي تكتب القرار العقلي بعد تهدئة الإنفعال ودخول مرحلة الموضوعية .

الموضوعية مادة غير متوفرة بما يكفي في نظام العلاقات الإجتماعية، عدا نفر من العقلاء الذين لا يشكّلون سوى نسبة بسيطة في مجتمع تُعرض عليه يومياً أنواع السلع والأفكار والخدمات والثقافات ، بحيث لا يسع الإنسان الإعتيادي ان يتعامل مع هذه العروض بغير العاطفة والإعتقاد الذي يتولد عنده جرّاء تعامله مع هذه الفكرة ، وإستخدامه لتلك السلعة .

فهل الوعي العاطفي مجرد تجربة ذاتية ؟

في عصر التقنية الرقمية ، هل يهمنا ما إذا كانت المشاعر التي نتبادلها مع بعضنا حقيقية أم هي مجرد محاكاة ؟

هل يمكن هندسة الوعي العاطفي رقمياً بطريقة تجعل الناس يتفاعلون معه كما لو كان حقيقياً ؟

قد يكون هناك مشروع لأتمتة المشاعر ، وقد ينجح هذا المشروع في المستقبل ، ليس لأن الآلة لها مشاعر بل لأن الإنسان المعاصر الواقع تحت ضغوط الحياة اليومية المادية الصعبة ، سيكون أكثر إستعداداً لقبول وهم الآلة العاطفية - في ضوء ذلك ، هل ستصبح الآلة الرقمية جزءاً من التجربة العاطفية اليومية للإنسان في زمان يعلو فيه صوت التفاهة ؟

الأمان واحترام الذات

يحتاج كل إنسان في علاقته بمحيطه الإجتماعي وفي علاقته بالسلطة الحاكمة الى الشعور بالأمان والشعور بإحترام الذات . في حال عدم إستقرار هذين الشعورين تحديداً لأسباب يرتبط معظمها بسياسة السلطة الحاكمة وبنظامها الإداري ، فإن الثقافة تواجه مشكلة كبيرة تتمثل في مدى قدرتها على تهيئة أجواء مناسبة لنمو هذين الشعورين عند كل شخص . يكمن حجم المشكلة الكبير في ان الحكومات لا تنظر الى هذه الحاجة عند المواطن من موقع المسؤولية والحكمة بقدر ما تنظر اليها من موقع السيطرة والتحكم .. فهي تفرض العقوبات على من يهدّد الأمن ، وتعاقب من يسيء إحترام الآخر . في

مثل هكذا جو لا تنمو ثقافة طبيعية في المجتمع ، لكن قد تنمو طباع جديدة وعادات جديدة وبالتالي تظهر جراء ذلك ثقافة جديدة ، يأتي ضررها في إحتمالية أنها لا تحفز على نمو وتكوين الشخصية ومداراتها من الناحية النفسية ، بقدر ما تحفزها وربما تضطرها الى تقبل الوضع الراهن . في هذا الجو من تقبل الواقع تظهر مشاريع تستثمر حاجة المواطن الى تحقيق هذين الشعورين ، فنسمع عن أجندات ثقافية لحركات ومنظمات سياسية تروج لنفسها إعلامياً وتركب موجة المشاعر الجماهيرية للوصول الى شواطئها الخاصة التي كثيراً ما تكون بعيدة عن مسار طبيعة المجتمع ، فتظهر نتيجة ذلك حالة من عدم الرضا عند الناس ينجم عنها فقدانهم الشعور بالأمان وبالتالي إفتقادهم الى الشعور بإحترام الذات ، وهنا تصبح ميول الناس أقرب الى الدين كونه قوة فاعلة تراعي هذين الشعورين .

أما الثقافة فإنها لم تفلح لحد الآن في أن تكون قوة بموازاة قوة الدين وقوة السياسة في المجتمع العربي .

لعل ما يفسّر عدم ظهور الثقافة كقوة حاضرة الى جانب حضور قوة السياسة وقوة الدين في المجتمع العربي ، هو ان الثقافة لم تنجح لحد الآن في إكتشاف الطريقة الأقرب الى تفاعل الجماهير وتحريكهم في إتجاه وعي واقعهم وإثارة حسّهم المسؤول في النهوض بهذا الواقع. من ذلك مثلاً ان التظاهرات والإحتجاجات الشعبية كثيراً ما تنطبع

بطابع تقليدي مرتبط بالحاجات الخدمية أكثر من إرتباطها بالحاجات الثقافية .

بمرور الوقت تمكنت قوة السياسة من إحتواء مضامين تلك الإحتجاجات والتظاهرات ، إذ لم تعد التظاهرات قادرة على تغيير الواقع السيء . هذا من الناحية الميدانية في علاقة الناس بالسلطة الحاكمة ، أما من ناحية علاقة الناس ببعضهم فإن منظومة القيم والأخلاق والمثل العليا لم تعد مطلقة كما في السابق. فهي اليوم نسبية في ظل نظام عالمي يسلّع كل شيء . هنا تكمن معاناة المجتمعات العربية المعاصرة ، لأنها لا تزال تنظر الى القيم والأخلاق نظرة مطلقة ، بينما تضطرهم تفاصيل الحياة اليومية الى إعتماد نسبيتها .

الثقافة والانسان بين المستهلِك والمستهلَك

بالنظرة الأفقية للتفكير البشري في عصر الآلة ، فإن التسليع ماضٍ ، وهو يتطور الى الحدّ الذي يتدهور فيه الإنسان تماماً. عندها ستصبح الآلة الرقمية صديقة له ، بل لعله يستبدل بها أصحابه ومقربيه في جو المعنى الرقمي للصداقة الذي تشيعه المواقع الالكترونية للتواصل الإجتماعي ، وسيستمر النظام العالمي في تسليع كل شيء الى ان يتحول الإنسان الى مستهلك (بكسر اللام) ومستهلك (بفتح اللام)

في آن واحد .. بحيث تتآكل العلاقات الإنسانية النقية .

مما يعرقل دور الثقافة العربية المعاصرة في تنقية الجو الإجتماعي ، هو تلوث الجو العام لمناخ العالم العربي سياسياً وإقتصادياً وأمنياً ، وهو ما يضطر أبناء المجتمع الواحد الى التأثر بهذا الجو الملوث ، هذا يعني ان الجو الثقافي الذي نعيشه اليوم ليس نقياً وصافياً بالقدر الكافي الذي يسمح للناس بأن يتنفسوا ما يملأ صدورهم فهماً وعلماً ووعياً وثقافة .

إن أكثر ما يلوث الجو العام لأي مجتمع هو التضارب والتصارع بين أفراده على المكاسب والمناصب وتركهم السعي وراء النضج العقلي والنضج النفسي والعدالة الإجتماعية .

لعلي لا ابدو متشائماً اذا ما ذهبت الى إن تحقيق النضج العقلي والنضج النفسي في أيامنا هذه قد لا يجعل من مهمة الثقافة المعاصرة في تحديث الواقع وتصحيح أخطائه مهمة سهلة ، ذلك لأن قوة المال اليوم تفرض حضورها وقدرتها على إصطناع ثقافة من شأنها أن تبتلع مفهوم الإنسانية بإجراءات قانونية تنفذها قوة المال بغطاء سياسي وبمزاجية رسمية وبغطاء قانوني ، بحيث يصبح طرد عائلة فقيرة - لا تملك سكناً في وطنها بسبب فقرها المدقع - من منزل شيّدته على ارض تعود ملكيتها لإحدى مؤسسات الدولة ،

إجراءً قانونياً سليماً تنفذه قوة عسكرية أمام صراخ وبكاء النساء والأطفال دون تقديم بديلٍ عاجل وآمن لهم .

تواجه الثقافة العربية المعاصرة محنة شديدة ترتبط بجوهر عملها الإنساني ، فماذا تستطيع فعله أمام قوة العصر الجديدة وهي المال المتنفذ الذي بات يشتري كل شيء ، ويقدم عروضاً مغرية لمن يبيع إنسانيته وضميره وذمته وأخلاقه ودينه وخصوصياته .

يبدو من خلال واقع حال المجتمعات العربية ان دور الثقافة المعاصرة معقد للغاية ، لأن الشك في سلامة التفكير بات مرافقاً للإيمان بقدرة العقل البشري على التطوير ، فيما يتعلق بتزكية جهود التفكير ، هل إنها تصب في صالح إنسانية الإنسان ، وانها لا تمضي به الى عالم الأشياء الذي يتساوى فيه الكائن الحي مع الموجودات والأجهزة الآلية والرقمية .

الدين والدولة والتطور

حظيت هذه الثلاثية بإهتمام العقل الإنساني في بحثه عن الإستقرار والتنمية . فقد اعتنت الثقافة العربية المعاصرة عناية كبيرة بالتحول الثقافي الذي حصل في العالم على مدى أكثر من ثلاثة قرون تواصلت فيها الحضارة الغربية في التقدم منذ بدايات النهضة ، ثم الحداثة . تلاها التطور العلمي ، وصولاً الى التطور التقني الرقمي . أثّر التحول

الثقافي الغربي من قانون الكنيسة الى قانون العلم ، في تفكير العقل العربي الذي أراد الإفادة من هذا التحول لمعالجة الموقف العربي المعاصر ، فذهب بعض المثقفين الى إستعارة التجربة الغربية لتطبيقها في الواقع العربي .

جانب مهم من المشكلة يكمن في ان كلمة كنيسة في الغرب تعني ما تعنيه كلمة مسجد عند العرب ، وهي الدين . فاذا أخذنا عبارة دين الكنيسة مقابل عبارة دين المسجد ، سنرى ان دين الكنيسة يمثل مرحلة ما قبل الخاتمية ، لأن الدين واحد وحلقاته متعددة ، ولكل حلقة نبي أو رسول يمثلها .

هذا يعني ان إكتمال الصورة يتحقق في اللمسات الأخيرة ، وهذه اللمسات الأخيرة وضعها النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا يعني إن دين الكنيسة لم يكن ليعطي تصوراً واضحاً لتفاصيل الرسالة السماوية وأثرها في المشهد الحياتي للناس . الأمر الذي مكّن العقل الغربي منذ عصر النهضة وعصر الصناعة من توجيه إستفهامات كثيرة لم تفلح الكنيسة في تقديم أجوبة كافية ومقنعة لها ، أودت بالنهاية الى ترك الناس لقانون الكنيسة والتوجه الى القانون العلمي .

في ضوء هذا الحراك الغربي رأى بعض المثقفين العرب ان مضي المجتمع العربي الإسلامي في الطريق ذاته الذي مرّ به المجتمع

الغربي، قد يساعد على تحديث الواقع ، وتأهيل المجتمع العربي للحاق بركب تطور الحضارة الغربية .

المشكلة ان تصورات ورؤى المثقف الغربي تكوّنت وتبلورت في نطاق تلك المرحلة من الدين الكنيسي . ثم جاء المثقف العربي المسلم ليتأثر بها بحكم قوة تطور الحضارة الغربية ، فأعتمد أفكار وأقوال وبحوث وكتب مفكرين غربيين كمصادر ومراجع لرصيده الثقافي الشخصي .. واخذ المثقف العربي المعاصر علاقته بالثقافة الدينية في ضوء ذلك التأثر . الأمر الذي أوقعه في مشكلة مواجهة طبيعة مجتمعه ، ومحاولته تغيير تلك الطبيعة .. أو إقحام تصوراته الشخصية للثقافة الغربية في تلك الطبيعة ، الأمر الذي جعله في بعض المواقع في تضاد ، وأحياناً في تصادم مع المعمم .

لعل أي حديث عن تطور ثقافي وإجتماعي لا يأخذ بعين الإعتبار الدور المهم للعلم المجرد وتقنية اليوم الرقمية ، هو حديث لا يخدم حركة نهضة الواقع ، بل لعله حديث مضرّ بسلامة المجتمع . لذلك علينا أن نأخذ بأسباب ونتائج التطور العلمي الذي نعيشه في عصرنا الحالي ونحن نبحث عن سبل تمكين مجتمعاتنا ثقافياً وتطويرها بما يمكنها من إستيعاب التطوّر الحاصل في حضارة الغرب بما يضمن سلامة الطبيعة الثقافية والإجتماعية للعالم العربي الإسلامي .

أثر الإستخدام المتزايد للتقنية في ثقافة المثقف

هل يسهم الاستخدام المتزايد للطاقة وللتطبيقات التقنية الرقمية في تشكيل ثقافة مادية جامدة ، تصل بالمثقف الى التوقف في نشاطه عند حدود نشر المقال ، وطبع الكتاب ، وإنشاء صفحة الكترونية تضم عدداً من المعجبين ، وشهادات شكر وتقدير . بينما يستغرق الواقع في مشاكل شخصية وأسرية وإجتماعية كثيرة أصبحت مزمنة في حياة الفرد والأسرة والمجتمع ؟ .

هل تسهم كثرة السلع الآلية الذكية في السوق في تسليع الأفكار والقيم والعادات ..؟

تقدم الصناعة في الغرب ، ودخول الإقتصاد مرحلة صنع القرار السياسي حول العالم ، هل يؤثر في التكوين الثقافي للشعوب ؟

في عصر التسليع الذي تمتد فيه مشاريع الاقتصاد الصناعي والسياسي للنظام العالمي لتشمل كل شيء من سلع وافكار.. هل يؤدي ذلك الى تقييد حركة الثقافة أم الى توسيعها ؟ بعد هيمنة الآلة الذكية على المشهد الحياتي لمجتمعات العالم . هل نتوقع إسلاماً جديداً في الشرق الأوسط كالمسيحية الجديدة الحاصلة في الغرب ؟

هل يفرض التطور الاقتصادي حضوره على المشهد الحياتي في جانبه الديني وجانبه الأخلاقي في المجتمع العربي ، بحيث تفعّل آلية الدين

الفردي والإعتقاد الشخصي ليصبح مقبولاً رؤية مكان للصلاة في صالون حلاقة نسائي يعمل به رجال .. أو مكان للصلاة على مقربة من مكتب أستاذ أكاديمي يمارس الرذيلة داخل الحرم الجامعي .

هنا تصبح الثقافة العربية المعاصرة في محنة حقيقية لا يبدو من واقع الحال انها قادرة على صناعة وعي جمعي في جو تحرك أهواءه سياسة المال والأعمال . خصوصاً وان النظام العالمي الجديد منذ بدايات القرن الواحد والعشرين بدا داعماً لتمكين شخصيات غير كفوءة من مواقع القرار ، كي يصبح دور هذه الشخصيات مركزاً على حماية المال وتنميته باستمرار .. غالباً ما تكون تلك الشخصيات مصابة بإنحراف في هيكلية تكوينها الشخصي بحيث يساعدها هذا الإنحراف على إنتاج سلطة فساد مالي وإداري .

حرية الإختيار وإختيار الحرية

من المشاكل التي تواجهها الثقافة العربية اليوم ، هي حرية الاختيار التي يتيحها النظام العالمي عبر وسائل التطور التقني الحديثة ، حيث مساحة الحرية الشخصية تصل الى تقرير المصير والى صناعة تصدر عن الحقائق والقيم بشكل فردي وذاتي من خلال التدفق الهائل للبيانات والمعلومات والتحرر من أي التزام . هنا مكمن الخطورة حيث يفتقر أغلب الناس الى المعايير السليمة التي يقيمون عليها

أفكارهم وقراراتهم وترك ذلك للتجربة الشخصية ، وستصبح النزعة الإنسانية صفة ذاتية يختلف مفهومها العام من حالة الى أخرى ، ومن رأي الى آخر ، ومن موقف الى آخر . عند ذاك ستصاب القضايا الكبيرة بالشلل ، وستتحول من مشاريع حياة الى اطروحات نظرية محترمة ومتداولة في أجواء ثقافية روتينية .

إصلاح المجتمع وتمكينه ثقافياً هو المشروع الأوفر حظاً في عصر التقنية المتطورة والنظام العالمي الجديد ، فربما لم تعد صالحة تلك الفكرة القديمة التي مفادها ان إصلاح الدولة يبدأ بإصلاح الجيش ومؤسساتها الأمنية .. في النظام العالمي الجديد لم تعد السلطة شأناً خاصاً ببلد ما .

أصبحت مشاريع الإقتصاد السياسي مشاريعاً عالمية ، كما ان دخول الآلة المتطورة في مجالات الحياة فرضت فكرة التغيير السلمي على حساب فكرة التغيير العسكري ، وصارت صناديق الإقتراع من سمات البلدان المتحضرة أو المواكبة للتطور . لذلك أصبح المجتمع هو المشروع الذي يستطيع ان يراهن عليه دعاة السياسة الطامحين الى السلطة ، لا ينجح هذا المشروع بجهود سياسية فقط ولا حتى بمشاركة الإقتصاد . ينبغي لهذا المشروع ان يتم عن طريق الثقافة ، فمن دواعي التمدن تمكين المجتمع ثقافياً ، وفي هذه الساحة يبرز الأبطال الحقيقيون من مدّعي البطولة.

الثقافة بوصفها مشروع قوة في المجتمع

ومن مشاكل الثقافة العربية المعاصرة انها في ظل التطور التقني الذي أفادت منه كثيراً في مجالات النشر وتبادل الآراء والأفكار وسهولة التواصل وعقد الندوات والمحاضرات الإلكترونية ، وما أضافته من رصيد الى الثقافة المحلية في كل بلد ، فإنها لم تتمكن من الحضور كقوة متطورة قادرة على توجيه الناس من أجل تطوير العملية السياسية والعملية الإدارية ، بل لعلها خضعت في جانب منها الى إرادة القوة الحاكمة فوظفت ما بلغته من تطور توظيفاً لا يخدم مشروع تمكين المجتمع ثقافياً مثلما يخدم مشروع التمرير والتبرير المرحلي .. فمع كثرة الإصدارات الثقافية ، وكثرة الندوات ، والمحاضرات ، والمهرجانات ، والمنتديات ، والنشر الورقي والالكتروني لم يتراجع عدد المشاكل الإجتماعية . بل هي آخذة في الإزدياد ، وخطورة ازديادها يهدّد بتحولها من مشاكل الى إشكاليات ، خصوصاً عندما طالت حياة كثير من المثقفين .

في عصر التقنية المتطورة ينبغي أن تكون للإهتمامات السياسية والإقتصادية للدولة أبعاداً ثقافية بالمفهوم الإنثروبولجي للثقافة . وينبغي ان لا تبقى الأبعاد العسكرية والأبعاد الأمنية فقط هي التي تحتل المرتبة الأولى في إهتمامات النظام الحاكم في أي بلد عربي .

هناك فارق بين إهتمام الدولة بالصناعة والتجارة والزراعة والثقافة

لتأمين إحتياجات الناس لمرحلة التطور ، وبين الإهتمام نفسه من أجل تأمين مستلزمات التمكن من السلطة أطول مدة ممكنة .

وهناك جانب فيه درجة كبيرة من الخطورة على مستقبل الثقافة العربية في المنطقة يتمثل في ان النظام العالمي يدفع باتجاه تنمية إقتصاديات الدول الكبرى بفتح اسواق لها حول العالم .

ومنطقتنا العربية من بين المناطق التي تشكّل سوقاً إستهلاكية كبرى. ولكي تحقق بضائع ومنتجات شركات الدول الكبرى في السوق العربية إستهلاكاً كبيراً متواصلاً بأرباح مالية طائلة ، كان صندوق النقد الدولي من بين الجهات المانحة التي تتحين فرص احتياج تلك الدول الى المساعدات المالية لتعرض عليها تقديم الأموال مقابل شروط وضوابط تخدم زيادة إستهلاك بضائع ومنتجات الدول الكبرى واولها أمريكا حيث مقر صندوق النقد الدولي . كانت تلك السياسة المالية كثيراً ما تنعكس سلباً على إقتصاد الدولة المقترضة من صندوق النقد الدولي خصوصاً عندما تندرج في قائمة شروطه السماح بإدخال سلع ومواد ينتجها البلد المقترض ، الأمر الذي يهدّد زراعة وصناعة المواد والسلع فيه ، فإذا تراجع اقتصاد تلك الدولة ضعُف في حكومتها صناعة القرار ، وإذا ضعفت صناعة القرار السياسي انفتحت الطريق للنظام العالمي للتحكم والتدخل ومصادرة القرار السياسي السيادي والذي يمكن النظام العالمي من وضع يده على موارد تلك البلاد

والتصرف بها بما يخدم تقوية اقتصاد الغرب وان جاء على حساب ضعف اقتصاد الدول المقترضة وتعطل حركة تنمية الموارد البشرية فيها ، والذي يترتب عليه ضعف واضح في حركة الثقافة العربية في معالجة هذا الوضع الحرج الذي يأخذ شكل الواقع المفروض الذي لا بد من تقبله .

المواطن العربي والمواطن الغربي

ينشغل المواطن العربي بقضايا التراث والدين والعادات والتقاليد والقيم والأخلاق ، وكيف يحافظ عليها في زمن الآلة الذكية .

فهو مسكون بالقلق على حريته وعلى كرامته . يفكر بحاجته الى التعليم والصحة والعمل ، في ظل أنظمة سياسية غير مؤهلة لتحويل هذا القلق الى إستقرار . أو انظمة تتعامل مع حاجة الواطن الى الإستقرار في ضوء حاجتها الى الإستثمار .. بالمقابل ينشغل المواطن الغربي بمستقبل الذكاء الإصطناعي ، وكيف يستفيد منه في حياته بحيث تصبح ذات معنى أجمل ، في ظل مناخ عالمي متغير ومستقبل يواجه نضوباً في مصادر الطاقة الطبيعية.

المواطن الغربي مشغول بعلاقة مستقبله بأنظمة آلية ذكية . والمواطن العربي مشغول بعلاقة مستقبله بأنظمة بشرية متأخرة أو متعثرة أو غير فاعلة .

يدرك المواطن العربي حقيقة واقعه هذا ، لكنه لا يملك رؤية معاصرة لتغيير هذا الواقع الى الأفضل ، فهو كثيراً ما يلجأ الى التاريخ والدين من أجل رؤية واقعه ، كما إن المواطن الغربي ليس أكثر وعياً من المواطن العربي بتعقيدات الحياة ، لكن المواطن الغربي عملي أكثر من المواطن العربي .. وذلك بحكم تباين بيئة كل منهما .

معنى كون المواطن الغربي انه إنسان عملي ، هذا لا يعفيه من إحتمالية وقوعه في حالة عدم الإنتباه لعوامل تحيط به يمكنها ان تؤثر في واقعه إنْ سياسياً أو ثقافياً أو إقتصادياً .

إننا بحاجة الى خطة مستقبلية للثقافة العربية نرسم فيها ملامح حياة الجيل القادم ونمهّد لها من خلال تعويد وتدريب ابنائنا اليوم على ان يكونوا ورثة حقيقيين لسِفر عظيم من الثقافة عبر تاريخ الآباء والأجداد ، وان نعلّمهم كيف يتحرّكون بهذا الإرث في حاضرهم بما لا يشعرون معه بالعبء الثقيل الذي ينتظرون اقرب محطة يمرّون بها كي يلقونه فيها علّهم يستريحون منه .

اشتغل المواطن العربي على الجانب الروحي للدين لتأمين احتياجاته الحياتية ، واشتغل المواطن الغربي على الجانب المادي للعلم لتأمين احتياجاته الحياتية . ولو ان المواطن العربي اشتغل على الجانب العلمي للدين لما ذبل الجانب الروحي له كما هو الحال .

ان عدم توافر الدين الكنيسي على صورة واضحة المعالم لتفاصيل الحياة اعطت المواطن الغربي مبرراً لإعتماد العلم المجرد طريقاً لتحقيق متطلبات الحياة .

وان عدم التفات المواطن العربي الى اهمية اعتماد الجانب العلمي للدين في تحقيق متطلبات الحياة ، واقتصاره على الجانب الروحي ، جعله يفقد مزايا النظر الواضح لملامح الصورة التشريعية الكاملة التي جاء بها دين الخاتمية . نتج عن ذلك تأخره مقارنة بالمواطن الغربي الذي يتصدّى اليوم لحضارة علمية عالمية بعد ان كان المواطن العربي ابن حضارة اسلامية عربية عالمية عريقة .

التطور بوصفه ضرورة ثقافية

من الصعوبات التي تواجهها الثقافة العربية المعاصرة ان انسان القرن الواحد والعشرين لم يعد يجد في حركته بإتجاه التطور ضرورة مثلما يجد فيها رغبة ذاتية لتجاوز الموروث الثقافي . بمعنى ان إنسان القرن الواحد والعشرين يرى في المجازفة نمطاً حياتياً جديداً مشوقاً ، أكثر مما يرى فيها خطراً ، وهذا يجعل من المستقبل مساحة منفتحة على إحتمالات عدّة قد يتجاوز بعضها منطقة التفكير الآمن بحضور المنطق والعقل .

ان تمكين المجتمع ثقافياً يهدف الى تجاوز الثقافة الأحادية الجانب

للوصول الى التفكير العميق الذي يجعل من الإنسان مسؤولاً مسؤولية كاملة عن أفكاره ، وعن عواطفه ، وعن مواقفه بعيداً عن أي وصاية أو توجيه .

ثقافة حضور الماضي

من الإحراجات التي تتعرّض لها الثقافة في مشوارها المعاصر في المجتمع العربي ، هو ان مجتمع اليوم يبحث عن إثباتات معاصرة لحوادث تاريخية يعتقد بصحتها بحكم الموروث الثقافي ، ويريد أن يواصل إعتقاده بصحتها اليوم بإستخدام أدوات عصر التقنية .

فهل تستطيع ثقافة اليوم تقديم أجوبة ملموسة لأسئلة تتعلق بعلّة وقيمة وجود الإنسان ودوره في الحياة ؟.

لا شك إنها تحدّيات خطيرة ، إما أن تؤدي الى تعطيل حركة الثقافة ، أو الى تحييدها ، كما هو حالها اليوم حين بدت عبارة عن أنشطة أدبية وفنية وإجتماعية أكثر منها رسالة حياتية توظف الأنشطة الفردية في خدمة مشروع الأمة.

من المخاطر التي تهدّد استمرار الثقافة العربية كمشروع نهضة في المجتمع هو انها لم تنجح في إعداد جيل يتعامل مع التراث ككائن حي. الأمر الذي عقّد مهمة الثقافة في مواكبة الحاضر بمتطلباته وحاجات النفس البشرية الى التواصل مع التراث بما لا يعيق حركة

نمو الحاضر إعاقة تمنعنا من المشي في درب الأجداد عندما تصبح اثارهم وديارهم واخبارهم أيقونات حياتية نعتقدها تراثاً قديماً يوجب علينا التزامنا الأدبي محبته واحترامه لا أكثر من ذلك ، لأننا لم نعد نملك انتاج قدرة تأثرنا .. تلك القدرة التي يُراد لها اليوم ان تكون ملك عالم مزيّف تزييفاً ثقافياً في كثير من تفاصيله .

يمكن تشبيه الخطر المحدق بثقافتنا بكارثة عالمية تحدث ببطئ ، فلا يكاد يشعر بها أحد حتى تشتد .

يرى بعض أبناء الجيل المعاصر إن من حقه إستخدام أدوات العصر الجديدة في إثبات معتقداته التاريخية القديمة ، لأن مناخ العالم الثقافي اليوم يحمله على التفكير بأن مجرّد التسليم بما توصّل اليه القدماء لم يعد كافياً اليوم بعد أن تغيّرت سبل وأدوات العصر المعرفية ، فإذا جوبهت هذه الأسئلة بإجابات إستنكارية ترفض فيهم هكذا طروحات ، تأزمت العلاقة بين المجتمع والثقافة .

ان حاجة الجيل الجديد الى إثباتات عملية جديدة لأفكار تاريخية ومواريث إجتماعية قديمة وإعتقادات دينية قد لا تندرج جميعها ضمن الشك ، أو ضمن الإلحاد ، أو ضمن محاولات الخروج من الدين ، بقدر ما تندرج في تصوري ضمن حاجة النفس الى مصادر قوة تكفل تأمين توازن الشخصية بما يمنحها ثباتاً أكثر وصبراً أكبر ،

وهذا يقتضي جهداً من الثقافة العربية المعاصرة لا أجدني أبتعد عن الصواب إذا قلت إنه جهد فوق العادة ، وفوق الطاقة في ظروف العصر الصعبة ، إلا إذا أصبحت الثقافة هي قضية المجتمع الإنسانية، وهذا يتطلب تفاعلاً حياً للمثقف مع المجتمع يتجاوز مساحة الكتابة لأجل النشر كنشاط فردي يرتجى منه جرعات معنوية تعزز إعتداد المثقف بنفسه .. الى مساحة حركة نشر يرتجى تأثيرها في المجتمع من أجل تطوير طريقة وانماط السلوك التي يتعامل بها افراد المجتمع مع بعضهم.

لم تنجح الثقافة العربية المعاصرة في تمكين المجتمع ثقافياً حين اقتصر نشاطها الرسمي في كتب المناهج الدراسية على ذكر شخصيات التاريخ العربي في مجالات العلم والمعرفة والادب والفن ذكراً لا يزيد نصيبهم فيه على سيرة حياتية مختصرة مع الإشارة الى بعض الجهود والآثار الإبداعية . فجاء ذكرهم على سبيل حفظ المعلومة لا على سبيل دراسة مادة او مواد كاملة من عطاءات اولئك العلماء كجزء مهم من متطلبات نجاح حياة اليوم ، الأمر الذي نتج عنه أمية ثقافية في الأجيال المتعلمة .

نذكر في هذا السياق جهود علماء مسلمين لا تزال الحضارة الغربية الى اليوم مدينة لجهودهم العلمية التي قدموها قبل مئات السنين ..

منهم الفارابي (ابو نصر محمد بن محمد) ولد عام 872م وتوفي عام 950م لقب بالمعلم الثاني بعد ارسطو . قدم الفارابي رؤية متقدمة للعلاقة بين المجتمع والسياسة في كتابه (آراء اهل المدينة الفاضلة)، وفي كتابه (كتاب الموسيقى الكبير) درس النظريات الموسيقية ، وكتب في الفيزياء والرياضيات والرازي (ابو بكر محمد بن زكريا) من ابرز الأطباء في الحضارة الإسلامية ولد عام 865م وتوفي عام 925م وهو من رواد الطب التجريبي له كتاب (الحاوي في الطب) جمع فيه معرفة الأطباء السابقين واضاف اليها تجاربه الخاصة ، وله كتاب (المنصوري في الطب) وله كتاب (سر الأسرار) وهو كتاب في الكيمياء وله دراسات في الفيزياء والرياضيات .

وابن الهيثم (ابو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم) ولد عام 965م وتوفي عام 1040م هو مؤسس علم البصريات الحديث ، لقب بـ (ابو الفيزياء الحديثة) ، له كتاب (كتاب المناظر) في علم البصريات ، وكتب في الهندسة وكان له جهد بارز في حل مسائل رياضية معقدة.

وابن سينا (ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا) ولد عام 980م وتوفي عام 1037م ، يعرف عند الغربيين بإسم Avicenna له كتاب (القانون في الطب) وكتاب (الشفاء) وكتب في الفيزياء والفلك والكيمياء .

وجابر بن حيان (ابو موسى جابر بن حيان الازدي) من رواد الكيمياء وعلم المواد ولد في 721م وتوفي عام 815م ويلقب (ابو الكيمياء) .

والخوارزمي (ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي) ولد عام 780م وتوفي عام 850م مؤسس علم الجبر له كتاب (المختصر في حساب الجبر والمقابلة) .

وابن النفيس (علاء الدين ابو الحسن علي بن ابي الحزم القرشي الدمشقي) ولد عام 1231م وتوفي عام 1288م من رواد علم الطب ومكتشف الدورة الدموية الصغرى ، له كتاب (المهذب في الكحل المجرب) وهو كتاب في طب العيون .

والبتاني عالم الفلك والرياضيات الشهير ولد عام 858م وتوفي عام 929م له اسهامات في علم المثلثات وادخل الدوال المثلثية في حسابات الفلك له كتاب (الزيج الصابئ) الذي ترجم الى اللاتينية واثر في علماء اوربا خلال العصور الوسطى .

وابو الوفاء البوزجاني (محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس البوزجاني) ولد عام 940م وتوفي عام 998م له اسهامات كبيرة في الهندسة والمثلثات ، ادخل مفهوم الظل في الحسابات المثلثية له كتاب (فيما يحتاج اليه الصناع من اعمال الهندسة) وكتاب (الكامل) في الرياضيات .

ثقافة التوحيد

مما يعرقل نجاح المشروع الإنساني للثقافة العربية اليوم هو ان العقل العربي بشكل عام لم يتحرر من رد الفعل السلبي أمام أي طرح فكري جديد .. فبينما هو يرفض وينتقد المجتمعات التي جابهت الأنبياء وخالفتهم واعترضت طريق المصلحين وجهود العلماء وحاربتهم ، ووقفت في طريق حركتهم في المجتمع .. لا ينتبه الى نفسه وهو يؤدي الدور نفسه الذي أداه السابقون . فقد نرى كثيراً من ردود الأفعال السلبية التي يظهرها الجو العام لثقافة المجتمع عندما تعرض عليه فكرة جديدة أو رأي معاصر يختلف عمّا إعتاده العقل العربي ، فنجد حملات التسقيط والتشهير والإقامة الجبرية والإعتقال وإلصاق التهم وغيرها بحق مفكرين ومثقفين معاصرين ، كما هو الحال في السابق .

عندما كان الإنسان يعبد الآلهة في السابق ، كان يعتقد إن هذه العبادة تمنحه الطاقة الكافية للمضي في حياة ناجحة ، فكان يبذل قصارى جهده كي يبلغ السعادة والنجاح وكان يصل اليها وينسب وصوله اليها الى قوة اعتقاده .

عندما تطور العقل البشري ونضجت النفوس بفعل تسلسل حركة وجود الأنبياء والمرسلين في تاريخ البشرية ، انتقل اعتقاد الإنسان السابق الى خط التوحيد وادرك ان ايمانه بتوحيد الله سبحانه سيمكنه من تحقيق النجاح والسعادة .

الأمر الخطير الذي تواجهه الثقافة العربية المعاصرة في القرن الواحد والعشرين هو ان عقيدة التوحيد تواجه نشاطاً إلكترونياً بشكل مباشر وبشكل غير مباشر .. فإذا لم يكن هدف هذا النشاط مواجهة عقيدة التوحيد ، فإنه يعمل على إشغال النفس والعقل بما يقلل الحضور الحي المتواصل لهذه الفكرة في منظومة الإنسان الحسّية والعقلية بسبب طغيان حركة المادة ودخول مشاريع المال والأعمال على خط ثقفنة المثل والمبادئ والقيم والسلوك .

ظهرت حالات من الإحباط والفشل والخيبة وأمراض النفس برغم تطور الحياة ووسائل التعليم وسبل كسب العيش قياساً لما كان عليه الحال في السابق. الخطورة هنا في ان الثقافة المعاصرة بحاجة الى ان تثبت للأجيال الجديدة فاعلية عقيدة التوحيد في حركة حياة الناس الجديدة في زمن الشاشات الملونة والبث الإلكتروني والتواصل الإجتماعي والإتصال الحي والمباشر ، وإلا فإن التكوين الثقافي للمجتمع العربي المعاصر مهدّد بالإضطراب النفسي الذي قد يهدّد سلامة النضج العقلي مما قد ينتج عنه انتحار فردي ، أو انفجار جماعي .. وستكون الخسارة الكبرى التي قد تتحملها الثقافة هي أن يقضي الإنفجار الجماعي على حياة المجتمع ، مثلما يقضي الإنتحار الفردي على حياة الشخص .

القلق الثقافي وقصور الوعي

كانت صعوبة مهمة الأنبياء في إيصال رسالة السماء الى الناس تكمن في كيفية تأهيل الوعي الذاتي عند كل شخص لتقبل الطرح الجديد لمفاهيم قديمة جديدة كفكرة العدالة . فما من مجتمع إلا وله دين ، أو هو يبحث له عن دين . وسواء أكان ذلك الدين سماوياً أم وضعياً ، فإن أجنداته كانت تتحدث عن العدالة وعن إله أو آلهة تحثه على تحقيق هذه العدالة .

هذه المفاهيم تحتاج الى وعي ذاتي يحرّك صاحبه كي يستقبل ما يُعرض عليه من دعوات وأفكار من أجل أن يطوّر فكرته وعقيدته .

كثير من الناس على مرّ التاريخ كانوا قد شكّلوا وعيهم الذاتي على أساس أنماط حياتهم اليومية المستقرة ، فكانوا يواجهون فكرة الدعوة الى إله واحد برغم انهم كانوا يعيشون حالة العبادة .

إذ لم تكن مشكلتهم لتقف عند فكرة الإله الواحد أو فكرة الآلهة المتعددة ، بقدر ما كانت حاجتهم الى إستبدال الالهة المتعددة بإله واحد لا تشكل ضرورة ملحة . بل لعلها كانت تشكل مصدر قلق جديد لهم . خصوصاً وإن حياتهم كانت ماضية على وتيرة مقبولة حدّ رضاهم عنها . فهم يزرعون ويأكلون ويبنون ويتاجرون ويتكاثرون ، لذا كانت دعوات أنبياء الله لهم بالتوجه الى عبادة إله واحد تشكل

عندهم مصدر قلق وخوف على نمط حياتهم المستقرة من أن تهدّدها فكرة الإله الواحد تلك . لذا اعرضوا عن دعوات الأنبياء . ولما وجدوا أنبياء الله مستمرين في دعواتهم الى التوحيد حاربوهم. ليس تحاملاً على فكرة الإله الواحد كما يبدو لي ، بقدر ما هو تحامل على ما يمكن ان ينتج عن انتقالهم من حالة الإستقرار التي يظنونها الى حال جديدة يترتب عليها مفاهيم إيمانية جديدة يجهلونها ، قد تطال جانباً كبيراً من سلامة أوضاعهم المعاشية المستقرة التي تمنحهم إستقراراً وإطمئناناً نفسياً .

الخروج من الدين

قد يعد عصرنا الحالي منذ بداية القرن الواحد والعشرين أخطر مرحلة تاريخية يمرّ بها الوعي الإنساني في تاريخ البشرية . سبب ذلك هو ان التغيير الحاصل في مجالات عدّة حول العالم جعل الشك والقلق وضعف الثقة تراود ثقافة الفرد عن نفسه فيما يتعلق بمفاهيم مثل العدالة الإجتماعية التي طالما كانت محور إهتمام دعوات الأنبياء ، إلا إن ذلك لم يتحقق لحد الآن بالقدر الذي يدعو الى عدم إثارة أسئلة بخصوصه . لذلك أخذ التوجه العام عند بعضهم الى قبول فكرة الخروج من الدين ضمن دائرة الدين نفسها ، بحيث يبدو الفرد جزءاً من منظومة المجتمع الدينية ، بينما هو خارج منها في داخله ،

فقد نلحظ في حياة كثيرين ومن خلال سلوكياتهم وتصرفاتهم وطرق تفكيرهم ان هناك غياباً واضحاً لتفاصيل الدين ، وان هناك حالة من الخروج على الموروث الديني من داخل ذلك الموروث بدواعي مواكبة التغيير العالمي .

هنا تبرز قضية الغربة التي تناولها الحديث الشريف (بدأ هذا الدين غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء) ، وهو حديث صحيح ذكره غير مصدر من مصادر الحديث والتاريخ ، فإذا كان مقبولاً ومعقولاً غربة الدين في بدايته بسبب غرابة الدعوة ، وحداثة الفكرة ، وقلة عدد الملتحقين بالدين الجديد . فكيف نقبل غربته بعد اكثر من الف عام على تلك البداية . وبعد شوط المعرفة الطويل الذي قطعه العقل البشري ورصيد الخبرة والتجربة الحياتية خلال مراحل التطور العلمي وتوسع آفاق البحث والدراسة والتأمل بعد ازدياد أعداد الداخلين في دين الله أفواجاً ، حتى تجاوزوا المليار مسلم حول العالم ، وكثرة عدد المساجد ودور العبادة والمدارس الإسلامية ، ومراكز الدراسات الإسلامية ، ومنظمات العمل الإسلامي.. وبعد كثرة أعداد النسخ المطبوعة من المصحف الشريف سنوياً .. وبعد أن أسهم وجود عدد كبير من المهاجرين المسلمين في بلاد الغرب في ظهور المساجد والمدارس والمراكز العلمية في مساحات واسعة من أوربا وأمريكا

وأستراليا و... يفترض ان يحملنا كل هذا التوسع والنمو على الإستغراب أو الإستفهام عن سبب عودة الدين غريباً كما بدأ ؟!.

تكمن المشكلة في إعتقادي في الكيفية التي يتم فيها إيصال الفكر الناضج الذي أنتجته عقول الأنبياء بحضور الوحي الى المتلقين الذين لا تخلو حياتهم من تذبذب في معدلات ومستويات النضج النفسي والعقلي بسبب تأثير كل من المال والسياسة في تلك الحياة . لذا لم يكتب للمجتمع العربي خلال التاريخ أن يمرّ بمرحلة آمنة يتحقق فيها إرتفاع معدلات النضج النفسي والعقلي . بمرور الوقت وبدخول الإقتصاد كعامل قوي ومؤثر في تحريك تفاصيل الحياة اليومية ، تعقدت الأمور أكثر، لذا كان مصير أعظم القيم والمثل والمبادئ هو الإهمال أو الإغفال أو الحضور المعنوي في التطبيق ، مع بقاء احتفاظ هذه القيم العليا بدرجات التعظيم وربّما حتى بالتقديس من قبل كثيرين وسبب ذلك هو تدني نسبة النضج اللازم لفهم تلك القيم وحفظها وتفعيلها .

كما ان دخول الزمن كعنصر أساسي في حركة التطور العلمي في العالم كان له الدور المؤثر في إنتقال النضج الجزئي الى مراحل متقدمة من الوعي الجزئي ، فكثير من الناس هم من اصحاب الوعي الجزئي أو الوعي النسبي الذي يُفترض نموّه فيهم كي يصلوا الى وعي جمعي . لكن الوقت مرّ من بين أيديهم ، بينما هم مشغولون بتفاصيل حياتهم

اليومية الى أن وجدوا أنفسهم أمام تطورات علمية مذهلة وتقنيات رقمية جبارة وآلات ذكية جذابة .. لم يعد بالإمكان تدارك ذلك الوعي الجزئي أو الوعي النسبي ، لكن بالإمكان منح ذلك الوعي الجزئي صفة الوعي الواقعي .. في ضوء ذلك ستأخذ المفاهيم الكبيرة التي نادى بها أنبياء الله معانٍ جديدة .. فالحق مقدّس والعدالة مطلب ملح .. لكن آليات الوصول الى هذه النتائج لم تعد مؤهلة لمساعدة الناس في اكتساب فهم اوسع واعمق . لذلك تخللت هذه المفاهيم العظيمة تطبيقات سقيمة ، وأفهام عقيمة ، كان نتيجتها ضعف حضور ، وربّما غياب حضور العدالة في ثنائية العلاقة بين الدولة والمجتمع ، وفي ثنائية علاقة الفرد بالمجتمع .. ثم ثنائية العلاقة بين الفرد والأسرة، وهي أسوأ حالة تمرّ بها حياة أي مجتمع ، بحيث تضطر منظومة القيم والمثل العليا الى ان تأخذ مفاهيماً جديدة من شأنها انها لا تضر بحقيقة فهم تلك المنظومة ، لكنها تحيلها الى مفاهيم اعتبارية ومظاهر ثقافية .

فقد نجد من يقيم احتفالات ومهرجانات كبيرة على شرف شخصيات تاريخية كان لها اثرها البالغ في رفد الرسالة الإنسانية ثقافياً بما يعزز نمو الحس الواعي والنضوج النفسي والعقلي . ونجد من يقيم نصباً تذكارية لشخصيات تاريخية وأدبية وسياسية وعلمية وفنية . ونجد من يذكر سير المبدعين والأبطال في كتب المناهج الدراسية للطلبة ،

ومن يطلق اسماءهم على شوارع ومشاريع سكنية ومكتبات ، لكن في الواقع لا حضور لآثار هذه الشخصيات الكبيرة والأسماء المستقيمة في تعديل إنحرافات الواقع ، الأمر الذي خلّف في أذهان بسطاء الناس من ذوي المهارات المحدودة والرصيد الضعيف من الوعي ، قلقاً نفسياً وثقافياً سببه ان الذين يحملون هذه القيم والمثل العليا اليوم هم أقل وعياً من سابقيهم الذين أخذوا عنهم ، وهنا تبرز مشكلة كبيرة تواجهها الثقافة العربية المعاصرة تكمن في ان الأفكار العظيمة انتقلت الى أذهان غير مستعدة للتفكير بمستوى عظمة ما وصلها من أفكار ودعوات ، أو انها لم تعد قادرة على تهيئة نفسها للوصول الى هذا المستوى العميق من الإدراك بعد ان تمكنت ظروف العصر الجديد من مصادرة الوقت وإيداعه في بنك الإستهلاك الخدمي المعاشي اليومي .

هناك خلل انساني واضح في الوظيفة السياسية والإدارية لمؤسسات الدولة يظهر حين تختلق الأنظمة السياسية الفاشلة نمواً إصطناعياً في أنشطتها الخدمية هدفه الإبقاء على وهم الجماهير بالعدالة وخداعهم بالمضي الى صناديق الإقتراع لإعادة صناعة الخيبة مع كل عملية تصويت جديدة . هكذا تتفاجأ الثقافة المعاصرة انها أمام تشابه بين الدكتاتورية القاتلة بالأمس والديمقراطية الفاشلة اليوم .

الـكليبتوقراطية وحُكم الثقافة

كليبتو كراسي أو الكليبتوقراطية ، إصطلاح ظهر في بدايات القرن التاسع عشر ، يصف النظام السياسي الذي يستولي على صناعة القرار فيه أشخاص ينتهجون منهج الفساد المالي والفساد الإداري حيث يعملون على توظيف صلاحيات السلطة في تسهيل وصول الفاشلين والفاسدين الى المناصب الإدارية المهمة والمناصب السياسية العليا.

عملت الماكنة الإقتصادية للنظام السياسي العالمي الجديد على (فرمتة) العقل السياسي العربي وإعادة تشغيله بنظام دبلوماسي استثماري لا يتعرف سوى على برامج انتاج واستهلاك السلعة والإنسان ، فجاءت الخدمات التي تقدّمها الحكومات لمواطنيها من نتاج نظام التشغيل الجديد هذا .. انكشف ذلك من خلال مواقف اتخذها العقل العربي السياسي المتسلط حيال قضايا كبيرة وكثيرة منذ بداية القرن الواحد والعشرين حتى يومنا هذا ، مثل القتل على الهوية والمقابر الجماعية والمجازر الطائفية والإستخفاف بحياة المواطن ونزوح المدنيين وتهجير العوائل وجوع الأطفال ، وتغليب قوة القانون المسلح بيد الحكومة على كل الإعتبارات المتحضرة لأنسنة علاقة المجتمع بالدولة ، وهو ما يمكن إعتباره مؤشراً واضحاً على تقزم ثقافة السلطة أمام حركة التغيير الإجتماعي والتطور

المتسارع حول العالم .. خصوصاً عندما لم يتأثر العقل السياسي العربي كثيراً بهذه المشاكل والكوارث ، بل راح يعيد تعريف المفاهيم الكبيرة والمثل العليا بصياغات جديدة مطبوعة بطابع (حرص الحكومة على المصلحة العامة) و (وسهرها على توفير الأمن للمواطنين) و (إضطرارها أحياناً الى مواقف قد ينزعج منها المواطن لكنها تقوم بها مراعاة لظروف المنطقة والعالم) .. يأتي ذلك من أجل تخدير الجو العام للبلاد لضمان عدم ظهور ردود أفعال غير محسوبة وغير متوقعة قد يقوم بها المجتمع الذي اتهمه بعضهم بالتقاعس والكسل وقبول الذل والإستسلام للقهر ، حتى تشكّل في إعتقاد كثيرين أنهم لا يملكون إرادة تغيير واقعهم ، لأنهم لا يملكون قوة توزاي وتفوق قوة تسلط الحاكمين عليهم . يضاف الى ذلك المفاهيم المستوردة للديمقراطية والحرية والسلام التي دخلت على خط تعريف إرادة التغيير على وفق مواصفات جديدة تجيز تغليف هذا التعريف بانطباعات التحضر والثقافة وحرية الإختيار وحرية التصويت ، لكي تغطي على وعي الواقع المزيف تزييفاً عميقاً يوهم أصحاب الوعي المحدود من أجل أن يمرر عليهم أشخاصاً فاشلين وفاسدين يمكنهم من صناعة القرار في مجتمع معاصر يستخدم الموبايل ويجيد الوصول الى مواقع التواصل أكثر من إجادته الوصول الى طبيعته وحقيقته وذاته ..

ان وقائع أحداث المجتمع اليوم تدفع بالثقافة في اتجاه اللامعنى ، وفي اتجاه تحويلها الى نشاط اجتماعي ترتبط ممارسته بالرغبة والظروف أكثر من ارتباطه بالحاجة والمسؤولية . فإذا تحولت الثقافة الى نشاط اجتماعي ولم تعد رسالة انسانية في المجتمع ، حُرم المجتمع من فرصة تكوين بنية تحتية سليمة لبناء وعي جماعي ، هو احوج ما يكون اليه في عصر التطور التقني وتطبيقات الذكاء الإصطناعي .. ذلك العصر الذي يذهب المختصون فيه الى ان مستقبله سيحمل تمكيناً لهذه التطبيقات الذكية من تزييف مقاطع الفديو الموجودة على شبكة الانترنت وسيكون من المتعذر على المستخدم ان يميز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف مما تعرضه له الشاشات الرقمية الذكية .. وانه سيأتي اليوم الذي يتعذر فيه التمييز بين الإنسان والحاسوب الذكي.. فاذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الجيل الحالي والجيل القادم يعتمدون اعتماداً كلياًُ على ما يزودهم به الانترنت عبر التطبيقات الذكية ومواقع التواصل الاجتماعي ، فإن الثقافة العربية المعاصرة امام مهمة شاقة ودور تاريخي لا يزال الوقت يسمح به لتكوين وعي ثقافي في الفرد ، ولتمكين المجتمع ثقافياً ، بحيث تصبح الثقافة قوة قادرة في الواقع العملي للمجتمع من احداث تغيير ايجابي في طرق حياة الناس وفي انماط تفكيرهم وسلوكياتهم . يتحقق ذلك من خلال نهضة ثقافية هدفها إصلاح

الواقع عن طريق تمكين المجتمع ثقافياً ، من خلال توظيف دراسات علم الإنسان (الانثروبولوجيا) في الثقافة ، وهو ما يمكن ان يتم بنوعين من الجهد :

- جهد ذاتي.
- جهد مؤسساتي.

حيث يبذل كل مثقف مسؤول دوره في نشر وايصال فكره الى الآخرين بدعم ومؤازة الوسط الثقافي عبر مواقع التواصل لإيصال الفكر البنّاء الى اكبر عدد ممكن من المستخدمين ..

لا شك ان دور الجهد المؤسساتي خصوصاً المؤسسة الثقافية المستقلة ، له أثره الأكبر من الجهد الذاتي . ذلك بحكم المساحة الجماعية الحرة التي تدير آلية عمل المؤسسة او المنظمة الثقافية المستقلة . هذا فضلاً عن المؤسسة الثقافية الرسمية فيما لو قدّر للسلطة الحاكمة ان تتبنى المشروع ، وهو امر ممكن تحقيقه إذا تخلى المسؤول السياسي عن فكرة التسلط لصالح فكرة السلطة في الحكم ، عندها يمكن ان تنمو الثقافة التي تخدم نهضة الواقع في ارض السياسة . ولأن ذلك يبدو أملاً بعيد المنال ، لذا جاءت دعوة فصل الثقافة عن سياسة الدولة كخطوة يراد منها تدارك الحال .

تقنية الهولوغرام وثقافة المستقبل

الهولوغرام تقنية تصوير عالية الدقة ، توفر امكانية تقديم صورة ثلاثية الأبعاد جذابة تبدو وكأنها تطفو في الهواء . اخترعها المهندس البريطاني المجري دينيس جابور عام 1947م ومنح جائزة نوبل سنة 1971م . ظهرت اول صورة هولوغرافية عام 1962م على يد العالمين إميت ليث و جوريس اوباتنيكس من جامعة مشغان الأمريكية صنعا مجسمات هولوغرافية للعبة قطار ولعدد من الطيور.

يجمع الهولوغرام بين التصوير الفوتوغرافي وبين الرؤية الحقيقية للشيء .. في سنة 1967م ظهرت اول هولوغرام لصورة إنسان .

كان هدف اختراع الهولوغرام هو تحسين الدقة وتجنب انحرافات المجهر الالكتروني النافذ .

يأتي حديثنا اليوم عن هذه التقنية في ضوء العلاقة بين الانسان والحاسوب وتفاعلهما عبر تطبيقات الذكاء الإصطناعي في القرن الواحد والعشرين حيث التوسع الكبير في مجالات تطوير بحوث الذكاء الاصطناعي بإنفاق ما يقارب المئة مليون دولار سنوياً على هكذا مشاريع حول العالم ، ربما لا يُنفق بقدرها على مشاريع تنمية الذات والقدرات العقلية والثقافية للفرد والمجتمع .

الهولوغرام ليست مجرد تقنية تصوير فوتوغرافي ثلاثية الأبعاد ، هي بوجود الذكاء الاصطناعي قادرة على ايجاد علاقة بين جسمين حتى لو كانا متباعدين وبينهما مسافات طويلة .

برغم صفة التطور العلمي والتقني المتسارع التي يتصف بها القرن الواحد والعشرين ، إلا ان كثيراً من الناس حول العالم يشعرون بالحنين الى الماضي إما لأن حاضرهم مثقل بالمشاغل والهموم بحيث لا يجدون فيه متسعاً من الوقت للراحة والتأمل والاسترخاء .. واما لأنهم يفتقدون النضج النفسي وسط هذه التقنية المتطورة الهائلة مما يجعلهم يميلون الى الماضي بما يكتنزه من ذكريات واحداث طفولة وشباب وصداقة ..

قد لا يكون ذلك الماضي بهذا الجمال الذي يجدون انهم ينجذبون اليه ، لكن قبح واقعهم في جوانب كثيرة منه يجعلهم ينظرون بعين الرضا والحنين الى الماضي .

يعد الكتاب من بين ابرز وسائل التواصل مع الماضي والتراث . لكن هذه الوسيلة لم تعد فاعلة بما يكفي حتى بعد ان ظهرت نسخة الكترونية من الكتاب إذ لم يفلح في تحقيق التواصل بين الحاضر والماضي ، بين التراث والمعاصرة بسبب مصادرة ظروف البيئة الحياتية اليوم لعامل الوقت ، وهو ما دفع بكثيرين باتجاه العمل من

اجل إشباع الحاجات البيولوجية بشكل أساسي .. ومن منطلق الحاجة الى النضج النفسي صار من الضروري جداً البحث عن سبل لتخفيف الضغط النفسي الذي يعيشه الإنسان في عصر الآلات الذكية ، والسياسات الأنانية ، والإدارات التقليدية ، والعلاقات الروتينية .. ومن هذه السبل تقنية الهولوغرام التي من شأنها ان تحدث تفاعلاً يحفز الذاكرة على حفظ المشاهد بما تنطوي عليها من معلومات وتفاصيل ، وبذلك يمكننا عبر هذه التقنية الذكية التواصل مع التراث واستحضار شخصيات تاريخية كان لها دورها البارز في تنمية وانعاش وتطوير الحياة الفكرية الثقافية عبر الأزمنة . حيث يسهم حضورها اليوم في إعادة برمجة النظام الثقافي الإجتماعي وتفعيل حضور الحس الواعي وتحريك بوصلة العقل الإنساني باتجاه التدبر والتفكير الخلاق في فضاء انساني . كوني . واسع . واقعي ، يوظف التقنية الرقمية الافتراضية في تحقيق ذلك .

يمكن بواسطة تقنية الهولوغرام عرض محتوى ثقافي اجتماعي هادف يعيد تفعيل علاقة الفرد بالأسرة ، والفرد بالمجتمع على وفق انماط سلوكية وعادات وتقاليد يجري تطويرها من قبل باحثين ومفكرين معنيين بالشأن الثقافي ، والانساني ، والإجتماعي . من اجل تجاوز نقاط الضعف فيها ، وإعادة صياغتها بنسخة محدثة تجعل منها مقبولة ومعقولة .

من مزايا تقنية الهولوغرام انها واقعية عالية الدقة . تبدو فيها الصور وكأنها حقيقية يمكن مشاهدتها من مختلف الزوايا . تستخدم هذه التقنية في مجالات الطب والهندسة والأمن والترفيه والدعاية والاعلان وفي الحفلات الموسيقية كما وتستخدم في مجال التعليم حيث تساعد على تحفيز ذهن الطالب على الابتكار من خلال التشويق والشد الذي يحققه التقاء هذه التقنية بالذكاء الاصطناعي فهي تقدم شروحاً لمفاهيم علمية معقدة بشكل مرئي جذاب .

تعتمد هذه التقنية على استخدام الليزر حيث يتم تقسيم شعاع الليزر الى شعاعين احدهما مرجعي والاخر موضوعي . ينعكس الشعاع الموضوعي من الجسم المراد تصويره ، بينما يسقط الشعاع المرجعي مباشرة على لوح التسجيل الذي (عادة ما يكون لوحاً فوتوغرافياً او لوحاً رقمياً) .

في ظل غياب الثقة الحاصل في عالم اليوم بسبب الفوضى والاضطراب الحاصل في العالم بشكل عام نتيجة الصراعات السياسية ، ومشاريع المال والاعمال ، ومشاكل المجتمعات والمشاكل الاسرية والفردية . فقد تأتي ثقافة الهولوغرام لتكون مشروعاً مستقبلياً جديداً جميلاً وجذاباً بحكم درجة التطور التقني الذكية التي يتم برمجتها من قبل كفاءات علمية وثقافية امينة ،

لعلماء ومفكرين معروفين بحضور البعد الإنساني في اعمالهم ومشاريعهم الفكرية فيتم اعادة تقييم كثير من السلوكيات والتصرفات والعادات والتقاليد المتواترة والمتوارثة في مجتمعاتنا بحيث تتناول ثقافة الهولوغرام دعوة جمهورها الى تصحيح الأخطاء في تلك المواريث الشعبية لتأتي سلوكيات الناس منسجمة مع واقعهم المعاصر . تساعد تقنية الهولوغرام في اعداد محاضرات ثقافية لها طابع مختلف تماماً عن المحاضرات التقليدية التي لها جمهور محدد وبأعداد قليلة ، فمن شأن هكذا مشروع ان يوسع قاعدة حظور رواد المجلس الثقافي الذي تديره تقنية الهولوغرام ثلاثية الأبعاد وهي تقدم مادة ثقافية في أي مجال من مجالات المعرفة الانسانية .

يمكن توظيف تقنية الهولوغرام في تدريب واعداد مثقفين فاعلين في مجال تنمية الذات وصناعة الوعي بعيداً عن أي اعراض جانبية تضر بسلامة الوعي الإيجابي والمعرفة الإنسانية .

بسبب التمثل الحقيقي تقريباً للصور الثلاثية الأبعاد التي تنتجها تقنية الهولوغرام يشعر المشاهد وكأنه يعيش تفاعلاً حيوياً يمكن تقريب المسافات بين الماضي والحاضر من خلال هذا الشعور وهو ما يمكن ان يساعد على تكوين تربة جديدة معاصرة لبذر ثقافة جديدة يتحرك

فيها كل من التراث والحداثة في مساحة زمانية ومكانية رقمية بأبعاد واقعية ، ومن شأن هكذا بذرة ان تبشر بظهور شجرة كبيرة متماسكة وارفة الضلال كثيرة الثمار تغذي الاجيال المعاصرة تغذية حية تحفز فيهم الإبداع كونها تخاطبهم بلغة العصر التقني وبأدواته ، فهي بذلك تحفز التفكير المنطقي بشكل غير تقليدي .

في العراق توجد شركة تدعى Holo Iraq وفي مصر هناك شركة Hologram Egypt وتعد جامعة الملك فيصل في السعودية اول جامعة في الشرق الأوسط تدخل تقنية الهولوغرام في مجال التعليم في عام 2024م .

بعد التراجع المخجل للدراما العربية في عموم العالم العربي عن إظهار الحدث الحقيقي للواقع الحياتي للناس ، اتوقع ان تسهم تقنية الهولوغرام في اعطاء المجال للعلماء والباحثين والمختصين والمفكرين في تقديم مواد تخدم نهضة المجتمع وتطوير الواقع بتحديث طريقة حياة الناس . هذه التقنية وان كانت عالية الكلفة فإن ذلك لا يمنع وجود جهات متمكنة مادياً لديها مشروع انساني في الحياة تستطيع ، بل لعلها تتمنى ان تموّل هكذا افكار ومشاريع هادفة ضماناً لسلامة البناء الإجتماعي وتطوير الذات .

صناعة الوعي ضرورة حتمية في عصر التقنية الذكية

تواجه ثقافتنا العربية في العقدين الاخيرين من بداية القرن الحادي والعشرين تحديات كثيرة من شأنها ان تهدد حركة تطورها في المجتمع يتعلق جزء كبير منها بالتطور التقني المتسارع الذي بات يفوق قدرة استيعاب الثقافة العربية لهذا التطور ولما يترتب عليه من تأثير في حياة الفرد .

يتطور العلم من حولنا تطوراً سريعاً بتقدم البحث العلمي وتكنلوجيا المعلومات وتقنية الأجهزة الآلية والحواسيب ومشاريع الذكاء الإصطناعي بشكل يتخطى قدرة استيعاب كثير من الناس ، بل انه يتقدم بشكل يفوق الوقت الذي يحتاجه أحدنا لإعادة النظر في امور حياته ، وإعادة ترتيب ما يستلزم منها . بالكاد يجد كثير من الناس وقتاً يتقنون فيه استخدام هذه التقنيات المتطورة ، ويقضون في اعمالهم جزءاً كبيراً من يومهم كي يتمكنوا من كسب المزيد من المال الذي يجعلهم مواكبين لموديلات الأجهزة التي تطرحها شركات التقنية. بالتالي فإن غالبية الناس يجدون انفسهم – من حيث يشعرون ولا يشعرون – مجرد مستخدمين ، يصنفهم المجتمع على وفق درجات إتقان أحدهم لإستخدام التقنية المتطورة .

لم يعد لدى كثيرين وقت للتدبر والتفكير والتأمل ، وسيترك التقدم المتسارع اثره النفسي السلبي على المستخدم ، حيث شعوره بالضعف في

شخصيته وقدرة تفكيره ، بل وربما في جدوى حاجته الى التفكير في عصر تهيمن فيه الأرقام على الأفكار وتبتلعها في جوف سوقٍ عالمي يسلّع كل شيء . وسينتابه شعور متواصل بالتأخر ، ليس في عجزه عن مواكبة تطور الدول الصناعية والدول الكبرى في العالم ، وانما في عجزه عن إستيعاب هذه التطورات التقنية ، فلا يكاد يجيد استخدام تطبيق تقني حتى يظهر أحدث منه ، وهكذا . وهناك مسألة مهمة جداً ، هي ان المجتمع اخذ يتعامل مع تلك التقنية المتطورة كمعيار للحكم على ثقافة الفرد ، فكلما كان بحوزته موبايل حديث ويستخدم تطبيقات ذكية حديثة ، كان مظهره اكثر ثقافة وامكانية من آخر يستخدم موديلاً أقدم من موديلات الموبايل والتطبيقات الالكترونية .

في كتابه " الدين والتحليل النفسي" يقول الفيلسوف الأمريكي من أصل الماني إيريك فروم " ليس صحيحاً ان علينا التنازل عن إهتمامنا بالروح اذا كنا لا نقبل عقائد الدين ، ذلك ان المحلل النفساني في وضع يسمح له بدراسة الإنسان عبر الدين وعبر نسق الرمز اللادينية " (1)

التطور العلمي موجود قبل يومنا هذا ، لكن ما يميزه اليوم هو ان عصر التقنية اتاح مخرجات التطور الصناعي للجميع ، فصار بمقدور الكل على اختلاف امكانياتهم المادية ان يقتنوا اجهزة الاتصال والحواسيب والانترنت .

1- الدين والتحليل النفسي – إريك فروم – ترجمة فؤاد كامل – دار غريب للطباعة – القاهرة – ص14

كما ان فكرة الاتصال والتواصل ليست بالجديدة ، فهي قديمة قدم بداية تعرف الانسان الى الطبيعة والى المجتمع عندما كان يسعى الى تطوير وسائل تواصله مع الاخرين .. لكن ما يميز عالم الاتصال والتواصل اليوم هو ان التطور العلمي عمل على تمكين الجميع من استخدام هذه التقنية المتطورة حتى وان كانوا لا يعلمون شيئا عن علم الحاسبات أو علم الاتصالات ، فهو بذلك يهيئ مساحة كبيرة جداً للاستخدام تتضمنها وفرة في المعلومات وتدفق هائل للبيانات وسرعة عالية في الوصول الى المعلومة والخبر ، وحرية واسعة في التنقل والاختيار والاتصال ، وحرية في التعبير والنشر . يقوم هذا التوسع على محتوى ثقافي رقمي ضخم ، وهذا المحتوى الضخم لا يخلو بحكم التوسع والتنوع من مادة جيدة ومادة رديئة ، ومن نافع وضار ، ومن خير وشر . وهذه الثنائة ليست بالجديدة ، فهي قديمة قدم وجود الانسان على الارض ، وهناك حديث نبوي يورده اليعقوبي في تاريخه يخاطب فيه نبي الأمة الناس قائلاً : لا يقولن احدكم انا مع الناس.. وفي هذا القول اشارة الى نقطة ثقافية مهمة وهي ان الجو الغالب على مجتمع ما في فترة زمنية معينة لا يمكن اعتماده معيارا . كما لا يمكن اعتباره عذرا لتبرير السلوك . يقول النبي الخاتم: ايها الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر .

اذن ثنائية الخير والشر فكرة قديمة زمنياً ، لكن ما يميزها اليوم في عصر التقنية هو ان هذه الثنائية تتحرك بعيدا عن محور الانسانية .

الانسانية هي محور الثقافة .. والثقافة هي مشروع انساني في المجتمع، لذلك فالقول بأن الثقافة هي ذلك العطاء الذي يقدّمه المثقف للمجتمع لم يعد كافياً .. وارى ان من الضروري جداً ان يصبح مفهوم الثقافة اليوم هو انها ذلك العطاء الذي يقدّمه المثقف للمجتمع من اجل تمكين المجتمع ثقافيا .. فبدون هذه الاضافة – تمكين المجتمع ثقافيا – اذا قارنا واقعنا اليوم بما كان عليه الحال في الماضي سنجد في عصر الجاهلية مثلاً شعراء مبدعون وخطباء متمكنون ، لكن مجتمع ذلك الوقت لم يكن متمكنا ثقافياً ، كما ان مجتمع اليوم غير متمكن ثقافياً . الفارق بين الزمنين هو ان ثقافة اليوم وظفت التطور التقني لصالح العطاء الذي يقدّمه المثقف للمجتمع ، فصرنا نرى اعداداً كبيرة من عنوانات الكتب واسماء كثيرة لكتّاب ومؤلفين وصار هناك كتاب الكتروني وكتاب مجاني .. كما ان المحاضرات الثقافية تنوّعت وتوسّعت وصار بمقدور اشخاص في أماكن مختلفة ومتباعدة ان يتفقوا على عقد ندوة ثقافة في زمن محدد وان يتواصلوا مع بعضهم . لكن مع كل هذا الحراك لم تتطور الثقافة . وانا لست مع الذين يعدّون هذا الانجاز تطوراً ثقافياً لأنني انسبه الى التقنية الغربية وليس الى الثقافة العربية.

لكي يتطور واقعنا الثقافي أرى من الضروري جداً اليوم ان تمرّ الثقافة من خلال التعريف الانثروبولوجي لها كطريقة حياة .

علاقة الانسان بالآلة علاقة قديمة تعود الى ملايين السنين حيث الفأس الحجري ، وكانت هذه العلاقة تتحرك في نطاق الوجود الطبيعي للانسان في الحياة ، اما اليوم وبعد التطور العلمي والتوسع الصناعي ودخول الأنانية على خط الإنتاج الصناعي فقد تضرّرت الطبيعة واسيء الى المناخ ، وتعقّدت سُبل الحياة وكثرت احتياجاتها، وفرض كل هذا على فهم علاقة الانسان بالالة تغيراً ، فقد صارت الآلة تتدخل في حياة الإنسان ، يراها بعض المشتغلين في التقنية انها تقرّر مصيره ، وحمل القلق بعضهم على التصريح بأن مستقبل عصر التقنية سيقضي على انسانية الانسان عندما يصبح كتلة بشرية فاقدة لمعنى الانسانية ، ويتحول المجتمع الى تجمعات فاقدة لمعنى المجتمع ، وسيشمل القلق الثقافة حين تتحول الى مظهر حياتي بعد ان كانت جوهر الحياة .

المقلق في ذلك هو ان نشاط التقنية الرقمية لم يتوقف عند الخدمات الرائعة التي يقدّمها للمثقف الباحث والمؤلف في الحصول على المصادر وسهولة الوصول الى المعلومة وسهولة التنضيد والاعداد للنشر ثم الطبع والتوزيع والنشر الورقي والنشر الالكتروني . فمشاريع الذكاء الاصطناعي تعمل على توفير تطبيقات ذكية تصل قدراتها الى تأليف كتاب ، والى انتاج روبوت ذكي يقول الشعر . فهناك تطبيق يمكّن مستخدميه من اعداد كتاب خلال دقائق حيث يقدم

التطبيق كتاباً مترابط المضامين . هذا العمل سيتسبب في ظهور القلق حيال ما ينتج من أعمال ثقافية وهذا القلق سيوصلنا الى الشك فيما نتلقى من مطبوعات وما نقرأ من مقالات وصحف ومجلات ، وهذا الشك سيغيّب المصداقية .. عندها يبقى المعيار والرهان على الإبداع ، لأن الإبداع صفة انسانية لا الية .

يصنف العطاء البشري الى نوعين : نوع يُراد منه اظهار الذات على انها ذات مبدعة .. ونوع اخر يُراد منه تدريب المتلقين على تقليد الابداع لكي يبدعوا . اننا اليوم بحاجة ماسة الى تمكين المجتمع ثقافيا ليعتادوا على العطاء ، ويتأتى لنا ذلك من خلال الانثروبولوجيا ، ذلك العلم الذي يُعنى بدراسة طريقة حياة الناس والوسائل والسبل التي يستخدمونها في التعامل بينهم من اجل تطوير تلك الوسائل والسبل.

ان إشباع الرغبات وتلبية احتياجات الانسان موضوع يشغل تفكير العقل الثقافي قديماً وحديثاً .. لكن ما يميزه اليوم في عصر التقنية الرقمية المتطورة هو ان مشاريع الاستثمار الاقتصادي الصناعي لا تعطي مجالاً للوصول الى حدّ مقبول لإشباع هذه الرغبات ، فدائماً هناك عروض جديدة وإغراءات أكثر إثارة وتشويقاً من سابقاتها ، وبهذا تقيدت حركة حياة الناس في حدود مواكبة الإصدارات الجديدة لسوق الاستهلاك في عالم التقنية الرقمية ووظفوا وجودهم

في الحياة لخدمة ولمواكبة هذا التطور والتنوع ، وصارت ثقافة الفرد تعني كثرة تسوقه وامكانيته المادية التي تسهل عليه اقتناء موبايل أحدث وسيارة أفخم ، وإرتياد مطاعم ارقى ومولات عالمية . نعم لقد نجحت مشاريع التقنية المتطورة في تحديد وربّما في الغاء ظاهرة الموت جوعاً ، لكن هذه المشاريع تسببت في نوع جديد من الفقر ، يطلق عليه فقر الرفاهية . انها مرحلة ما بعد الجوع . مرحلة تعطيل الإعتقاد بفكرة القناعة وإحلال مفهوم البراعة بديلاً عنه . إذ لم يعد تعليل الفقر في المجتمع على انه تقصير إداري في مؤسسات الدولة ، وفشل سياسي وغياب للحس المجتمعي والمسؤولية الإنسانية والإلتزام الديني والأخلاقي ، بقدر ما صار يعني فشل قدرة اولئك الفقراء في ركوب أمواج التغيير الجديد في البلاد والعالم . تسبب هذا التعليل في دفع كثيرين الى تغيير اعتقاداتهم بخصوص ثنائية الحلال والحرام ، والمعقول واللامعقول في سبل كسب المال . وصارت ثنائية القبول والرفض بديلاً استهلاكياً مقبولاً يتيح لأشخاص توظيف الحيلة والغش على انها مواصفات معينة قابلة للقبول او الرفض ، ولا علاقة للأمر بالوعي الموضوعي الذاتي للفرد . وصار للشارع قوة فرض ثقافة المرحلة وان كانت ثقافة غير منتجة أو غير صحيحة ، لكن حرية استخدام وسائل التواصل وحرية النشر الالكتروني مع قلة وعي العامة من الناس وكثرة استخدامهم

واعتمادهم الكلي على وسائل التواصل الاجتماعي ، مكّنهم من فرض ثنائية جديدة على المشهد الثقافي تتمثل في وجود نوعين من المثقفين :

- نوع مع ثقافة التبرير لغرض التمرير .

- نوع مع ثقافة التغيير من اجل التطوير .

ثقافة التبرير اكثر إقبالاً وأكثر قبولاً في المجتمع ، لأنها ثقافة تتناغم مع حاجة السلطة السياسية لفهم مجتزأ للثقافة ينحصر في الجانب الادبي والفني . كما تتناسب ثقافة التبرير مع محدودية استيعاب الشارع للنشاط الثقافي كدور فعال في التغيير ، فقد شهدنا خلال العقدين الماضيين كثيراً من التظاهرات ومحاولات التغيير التي كانت تتم على يد وبجهود وسط جماهيري شعبي غاية مطاليبه تكمن في تلبية احتياجات المواطن الأساسية التي تنحصر في المأكل والملبس والمسكن والوظيفة الحكومية .

النوع الأخر من المثقفين هو المثقف الذي يرى في الثقافة وسيلة للتغيير الحقيقي في عصر التقنية ، لأن أساليب التغيير المالوفة كالتظاهرات والإحتجاجات لم تعد مجدية أو منتجة بعد ان تمكنت الآلة من التحكم بهذه الأساليب لصالح السلطات .

ثقافة التمرير تنتج مثقفاً منهوماً بالشهرة والمظهر الذاتي للقافة ،

بينما تنتج ثقافة التغيير مثقفاً مهموماً بالعبرة والمظهر الموضوعي للثقافة.. فالمثقف المنهوم يتحرك بنشاطه الثقافي من اجل ان يصبح على مقربة من سلطة القوة ونفوذ المال والجاه .

اما المثقف المهموم فإنه يتحرك بنشاطه الثقافي من اجل ان يصبح على مقربة من واقع الحال لتغييره الى ما ينبغي ان يكون عليه .

لا شك ان مناخات العالم المغبرة بشكل عام لها تأثيرها في ثقافات المجتمعات وفي تشكيل ثقافات جديدة بفعل هيمنة عالم الأرقام على طرق التفكير التي اخذت تنحرف عن انسنة نتاجات العقل الثقافي ، وخلاصة القول كما يرى الأمريكي هاري ألين اوفر ستريت في كتابه (العقل الناضج) (ان الكائن البشري يمكن ان يصبح – في حدود معينة – أي شيء يراه محبباً اولئك الذين يحددون له المثيرات التي يستجيب لها..) (1) .

1- العقل الناضج – هـ. أ. اوفر ستريت – ترجمة د. عبد العزيز الفوصي ، محمد عثمان – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط2 – 1963 – ص32

بين التواصل الإجتماعي والتواصل الثقافي

التواصل الإجتماعي في المواقع والصفحات الالكترونية يؤشر الى حالة من الإتساع والتفاعل في مختلف المواضيع والقضايا التي يطرحها اصحابها . حتى ان هذا التواصل الالكتروني اخذ يشكل ملتقى اجتماعياً فاعلاً ومؤثراً ، وقد تمكنت كثير من المنشورات ومن مقاطع مصورة من تحقيق تفاعل جماهيري كبير احدث ضغطاً لصالح إثارة قضية أو مشكلة فرضت على جهات مسؤولة تدخلها لمعالجة الأمر .

الشيء الذي يقتضي اخذه في نظر الاعتبار هو ان التواصل الثقافي في مجتمعنا العربي ليس بمستوى فاعلية التواصل الاجتماعي الذي بدأنا حديثنا عنه .

لذا فمن مهام الثقافة العربية المعاصرة ان تنمي التواصل الثقافي بما يجعل المثقف على مقربة من احداث الواقع وهموم الناس واحتياجاتهم المرحلية .. فالأنشطة الثقافية اليوم بشكل عام هي أنشطة بطيئة الحركة قياساً الى إحتياجات المرحلة وطبيعة العصر المتسم بالتسارع الزمني في مجالات الحياة العلمية والتقنية والإقتصادية . كثير من تلك الأنشطة الثقافية تتحرك في قاعات المحاضرات وعبر منشورات الكترونية ومطبوعات ورقية ، ولا توجد مشاريع عملية لتمكين المجتمع ثقافياً على اعتبار ان الحكومات هي

المعنية بتطبيق اقتراحات واستشارات النخب المهنية والثقافية ، لكن إذا اخذنا في نظر الاعتبار ان عالمنا العربي في مجال السياسة لم يعد مستقلاً حتى مع ما تعرضه الديمقراطية العالمية من حرية ترشيح وحرية انتخاب، لأن الخطوط العامة للعمل السياسي في كثير من بلدان العالم ، يضعها النظام العالمي ، وهو لا يسمح بأي تجاوز لها وان كان ذلك يصب في مصلحة المجتمعات ، ما لم يصب اولاً في مصلحة الاقتصاد السيادي السياسي العالمي ، او ان لا يتسبب له بأذى او ضرر . لذلك فالحكومات عادة ما تكون غير منتبهة او غير مكترثة لحاجات المجتمع الثقافية لاعتقادها ان اهم اولوياتها هو توفير الأمن وتطبيق القانون وتعتقد ان توفير الكتاب ونظام تعليم مجاني ، وتوفير عدد كبير من المدارس والجامعات ، وإعطاء حرية للتعبير وحرية لاختيار مجالات الدراسة وان كانت لا تزال الى يومنا هذا محكومة بنمط قديم يلزم الطالب بدراسة التخصص الذي يكافئ المعدل الذي احرزه في امتحان البكالوريا . اقول ترى الحكومات ان توفير مكتبات تعرض على رفوفها عنوانات كتب متنوعة في مجالات الدين والسياسة والعلم والفن وغيرها ، بالاضافة الى ما تسمح به لمؤسساتها الثقافية من انشطة محددة في نطاق اقامة معرض للكتاب وافتتاح معرض فني وإقامة مهرجان شعري ومؤتمر علمي وورشة ادبية ومسابقة ثقافية لطلبة الجامعة ، وهكذا ..

ان ما تقوم به الانظمة الحاكمة في مجال الثقافة لا يبدو من خلال واقع الحال انه نشاط ذو صلة جوهرية بمشاكل ذلك الواقع ، يدلل على ذلك ازدياد مشاكل الناس ، ما بين كثرة حالات الطلاق بين الشباب ، الى ارتفاع معدلات العنف الأسري وعمليات السرقة والاحتيال والابتزاز والمخدرات ومعدلات الانتحار الآخذة بالازدياد سنة بعد اخرى وتردي مستوى التعليم ورداءة انظمة التربية وإصابة مؤسسات الدولة بعاهة الروتين المستديمة حتى مع دخول الاجهزة الذكية في مجالات العمل الخدمي ، فالحكومة لم تعالج موظفيها المصابين بعاهة الروتين ، قبل ان تعلمهم آلية استخدام الأجهزة الذكية واكتفت باعلانها نجاحها في مشروع اتمتة العمل في دوائر الدولة ، بينما واقع الحال لا يعفيها ، بل هو يدينها ادانة واضحة من خلال ما يعانيه المواطن من تعب واساءة واهمال وتقصير وتزوير تعلله اجهزة الدولة بخلل في النظام الذكي او في خدمة الانترنت وما الى ذلك .. ان كثرة هذه المشاكل والمعاناة تحول دون تمكين المجتمع ثقافياً من خلال تمتعه واستفادته بما هو مقروء ومسموع ومكتوب ومطبوع من الانتاجات الثقافية التي يقدمها الكاتب والمفكر والاديب والمختص .. لذلك ينبغي على الثقافة العربية المعاصرة واقول الثقافة بشكل عام كي اعطي المجال لأي مؤسسة او منظمة او جهة رسمية او اهلية قادرة على تمكين المجتمع ثقافياً ان تضطلع

بهذا الدور .. مع مراعاة ان بيئة المثقف العربي هي بيئة حادّة بحكم المناخ القاسي سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً ، ولعل هذا يتضح في حوارات المثقفين التي لا تخلو من كلمة (اتحدى) أو (مستعد لمواجهة..) والصوت العالي الذي يحكم نقاش الانفعالات عندما تتقاطع الآراء والميول وتتولى العصبية قيادة دفة الحوار الذي انتهى مع بعضهم الى الضرب والشتم والصراخ ..

أنت مثقف .. إذن أنا أراك

من خلال الأحداث المحلية والإقليمية والدولية ، المثير منها والخطير على صعيد السياسة والدين والمجتمع والاقتصاد والأمن - منذ بداية القرن الواحد والعشرين حتى يومنا هذا - تبدو الثقافة العربية المعاصرة كطائر امتلك جناحين لكنه لم يتمكن من الطيران . فبرغم ما تنعم به الثقافة من حرية في التفكير وحرية في التعبير وحرية في النشر . وبرغم ما اتاحته حركة التطور العلمي والصناعي العالمي من تقنيات رقمية اختصرت الزمن في سرعة الإتصال والتواصل نتج عنها عنوانات كتب كثيرة جداً ، وظهرت المطابع الحديثة ، وازداد عدد حملة الشهادات العليا ، ومضى الإعلام في تسليط أضوائه على الحركة الثقافية ، وتنوعت برامج اللقاء بالمثقفين هنا وهناك ، وصار لكثير من الكتّاب والباحثين منصّاتهم الخاصة على مواقع التواصل

الإجتماعي يكتبون ويعلقون وينتقدون ويوثقون . ورغم ان أمنية الفيلسوف الفرنسي فولتير التي ذكرناها في مقدمة الكتاب قد تحققت اليوم ، إلا انّ اعتقاده بقدرة ذلك على إحداث ثورة في العقول لم يتحقق لحد الآن .

ترى ما بال الكتب التي اغرقها المغول في نهر دجلة في بغداد ، لم تعلم الماء كيف يحيي في عروق الثقافة ظمأ الثورة كل هذه السنين .

ترى لماذا لم تعد حقول القمح تذكّر القوم بجوع الفقراء وسلة الغذاء. ألأن لون الحبوب الذهبي قد سوّل لنفوس التافهين النظر الى سعر الذهب في السوق ، فشيطن تفكيرهم بالأرض ، فجعله تفكيراً تجارياً أرغم الزراعة على مغادرة مكانها ، فأصبحت البلاد سوقاً كبيرة، والناس فيها بين مستهلِك ومستهلَك .

اذا كان قابيل قد ندب حظه وهو يرى (غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه) ، فإنه اليوم يأمر بفتح تحقيق في المجازر التي يرتكبها أتباعه بحق مدنيين وأطفال ونساء هنا وهناك ، ثم يعلن أمام الإعلام رفضه واستنكاره لما يحدث في البلاد .

من مشاكل ثقافتنا العربية المعاصرة انها بلغت ما بلغته في مشوار حركتها في عمر الزمن ، وهي مكتظة بالقلق الثقافي في شخصية العربي الذي مرّ به عصر التطور العلمي والتقني فنجح في إستخدام أدوات

التقنية المتطورة وأجاد توظيفها في خدمة مجالات حياته ، لكنه لم ينجح في تطوير نضجه النفسي والعقلي ، التطوير الذي عوقته التغييرات والتحولات الكثيرة والمثيرة في العالم العربي كالتغيير السياسي وموجات العنف والإرهاب والإختلال الأمني والإحتلال الأمريكي وثورات الربيع العربي وعورات الخريف السياسي ، والسوق العالمية ..

لا تخلو حياة كل شخص من محطات مقلقة لأسباب متعددة ومتنوعة . لكن ما يدعو الى الحيرة هو ان هذا القلق الثقافي الذي أصيبت به الشخصية العربية في العقدين الماضيين منذ بداية القرن الواحد والعشرين ، لم يجد من يداويه . لأن القوتين الأكثر فاعلية في المشهد الحياتي للمجتمع العربي ، وهما قوة الدين وقوة السياسة ، لم يكن لهما دور بليغ ومؤثر في مساعدة الناس على تجاوز مرحلة القلق هذه ، مما تسبب في ظهور انماط سلوكية غريبة وبعيدة كل البعد عن طبيعة المجتمع ، فقد كثرت المشاكل الإجتماعية ، واصبحت الأخلاق والقيم والمثل العليا مفاهيماً مهمة وضرورية متى ما استطاعت ان تحقق حضورها الذاتي فقط ، في واقع انهكته الإنقسامات السياسية والنعرات الطائفية ، الأمر الذي دفع بالعقل العربي المعاصر الى تشكيل خبرته الثقافية بعيداُ عن حضور هاتين القوتين بعدما ظهرت على المجتمع علامات الشعور بالضياع

وضعف مقدرة المجتمع والأسرة على معالجة مشاكل الفرد ومواكبة مشاغله بكفاءة عالية كافية لحفظ توازن شخصيته في جوانبها النفسية والأخلاقية والسلوكية والفكرية والعاطفية. لذا صار لزاماً على الثقافة ان تضطلع بدور قيادي ريادي في هذه المرحلة من أجل تمكين المجتمع ثقافياً كي يفرض حضوره كقوة فاعلة مؤثرة في المشهد الحياتي اليوم الذي بات مثقلاً بكثير من الهموم والقضايا الخطيرة والكبيرة ذات المساس المباشر بقيمة وجود الإنسان المواطن .

الفلسفة بوصفها ثقافة ضرورية في عصر الذكاء الإصطناعي

يعدّ موضوع الإنسانية أعمق فكرة اشتغل عليها العقل البشري منذ بواكير وعيه بوجود الإنسان ، وبعلاقته بالمجتمع والطبيعة .

نتج عن هذه الفكرة العميقة ، إستفهامات كثيرة ودقيقة ، ارتبطت بكل ما له علاقة بطبيعة الإنسان . وأمام هذه الإستفهامات كان لا بد من إجابات يطمئن اليها الإنسان كي يستمر في حياته ، وفي رغبته وعطائه . هكذا بدأت علاقة الإنسان بالمعرفة والبحث والتأمل ، ثم مر الزمن على ثلاثية المعرفة والبحث والتأمل لتظهر الخبرة كلون أساسي يسهم في رسم صورة مطابقة للواقع ، أو هي أقرب ما تكون لطبيعة الواقع . وفي رحلة التأمل والإستفهام والمعرفة والخبرة هذه ،

ظهرت الفلسفة ، التي بدأ المرحوم الدكتور حسام الدين الآلوسي حديثه عنها في الفصل الأول من كتابه (الفلسفة والإنسان) بعبارة (لا يعلم أحدٌ متى بدأ التفلسف) (1) ، لكنه يرى ان التفلسف طبيعة إنسانية يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية ، ليصل بعد ذلك الى ان التفلسف ضرورة إنسانية .

عن تعريفها ، قيل ان الفلسفة هي حب الحكمة . وانها من طرق البحث عن الحقيقية . وانها شكل من أشكال طهارة الروح وسعي النفس نحو الفضيلة في رأي (سقراط) . وفي رأي (افلاطون) هي السبيل لفهم الجمال والخير . استخدمها (ديكارت) سبيلاً للوصول الى الحقيقة . وعدّها (ايمانويل كانط او كانت) حدّاً فاصلاً بين ما يمكن معرفته وما لا يمكن .

من التعريفات المعاصرة التي أراها قريبة جداً من لغة العصر وروحه ، ما تناوله الدكتور حسام الدين الآلوسي في كتابه (دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي) إذ يقول (تعني الفلسفة ، حسب اشمل تعريف لها واكثره قبولاً عندنا : انها نظرة الى العالم ، وشكل من أشكال معرفة الواقع ، الذي هو الإنسان والمجتمع والطبيعة، وهي موقف يعكس الوعي الإجتماعي الى جانب الأشكال الأخرى التي يتمظهر فيها هذا

1- الفلسفة والانسان – د. حسام الآلوسي – دار الحكمة – بغداد – 1990 – ص9

الوعي الإجتماعي ، وباعتبارها موقفاً إجتماعياً فهي ذات بعد ايدلوجي يعبر عن المصالح المادية للطبقات المختلفة .

وللتبسيط نقول إن الفلسفة موقف ، سواء كان هذا الموقف ، عن إدراك ووعي أو لم يكن ، فموقف الإنسان الأول الذي يقدم القرابين للإلهة ويعتقد بوجود أرواح معينة ، وحياة أخرى ، هو موقف فلسفي بهذا المعنى أو ذاك ، وكذلك موقف المؤمن العادي الذي لم يتجاوز مرحلة " التقليد" في إعتقاداته خالية من البراهين والأدلة العقلية ، هو موقف فلسفي بهذا المعنى أو ذاك .... على ان للفلسفة معنى أدق، وهي انها التفكير الحر المنظم والمتناسق والواعي ..) (1) .

بناء على ذلك ، فهدف الفلسفة هو الإنسان ، والثقافة في الفهم الانثروبولوجي هي دراسة طريقة حياة الناس وانماط سلوكهم .

إذن العلاقة بين الفلسفة والثقافة علاقة مترابطة ، محورها الإنسان والطبيعة . فإذا كانت الثقافة بحكم اسبقيتها التاريخية مقارنة بالفلسفة ، قد بدأت مع حياة الانسان الفطرية ، فيمكن القول إن الفلسفة بدأت مع حياة الإنسان المعرفية .

واذا كان للثقافة نصيبها الكبير في التعبير عن الواقع ، فإن للسفة

1- دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي – د. حسام الدين الآلوسي – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1992 – ص47

نصيب كبير في تغيير ذلك الواقع . فالثقافة تهيئ للفلسفة أدوات عملها ، وبدورها تطور الفلسفة ادوات الثقافة . ولعلي استطيع القول ان الفيلسوف مثقف بالضرورة ، والمثقف فيلسوف بالصيرورة .

يشهد العالم منذ بدايات القرن الواحد والعشرين تسارعاً مذهلاً لتطور العلم والتكنلوجيا ، فهناك صواريخ تفوق سرعتها سرعة الصوت البالغة 343 متراً في الثانية ، ويتوقع في المدى القريب رؤية قطار يسير بسرعة تقترب او تصل الى سرعة الصوت . هناك سيارات ذاتية القيادة ، واجهزة كهربائية منزلية ذكية . وهناك روبوت عالي الدقة ، يتوقع له الخبراء في مجال الذكاء الإصطناعي أن يفوق قدرة العقل البشري في العقود القادمة الى الحد الذي يصعب أو يتعذر فيه التمييز بين العقل البشري والعقل الآلي . لذا على المثقف العربي اليوم إعادة النظر في حركة ثقافته ، واعادة توجيهها بما يمضي بالحياة في إتجاه لا يرغم المجتمع على الإبتعاد عن هويته العربية الإسلامية ، ولا يعرّض أفراده للتهجين الثقافي .

فهل هذا الأمر ممكن ؟ .

لا تخلو خطوات التجديد الثقافي من صعوبات جمّة ، ومعوّقات كثيرة ، وتحديات كبيرة . لكن الإعتقاد بصحة فلسفة الفكرة يمنح أصحابها الإصرار على المضي في طريق التجديد وسيوظفون خدمات

التقنية المتطورة لهذا الغرض ، وسيوفرون سبلاً آمنة تبتعد بالناس عن الإصابة بالأعراض الجانبية لسوء إستخدام التقنية الذكية .

قد يبدو الكلام إنشائياً . لكن اذا علمنا ان له تطبيقات عملية فردية هنا وهناك ، نجح اصحابها بوعيهم الذاتي ، في بلوغ هذا الهدف الذي بات مطلباً ملحّاً في عالمنا العربي الإسلامي .. فهناك جهود كبيرة لكتّاب ومثقفين على شكل كتب ، ومقالات ، وبحوث ، ودراسات ، ومحاضرات ، وانماط سلوكية ، ومناهج مهنية ، وطرق حياتية ، وعلاقات اجتماعية ، من الضروري تعميم هذه المبادرات الفردية ، لأن خطورة ترك الشارع العربي يتحرك بإتجاه التهجين ، سيضع المجتمع العربي في محنة جديدة ، ستفرض عليه اللجوء الى قوة اقتصادية ، أو عسكرية ، قادرة على ضبط إيقاع الإزدواج والإضطراب الذي سيحصل في الشخصية بين قبولها الإضطراري بالواقع المادي ، وبين ميلها الإختياري الى الوجود الروحي أو الديني ، وهذا ما يجعل المجتمع يتقبل وجود قوى مالكة للمال والسلاح في السلطة ، وان كانت تلك القوى فاشلة . وهذا مؤشر خطير في مجتمع لم يشهد رخاءً إقتصادياً ، ولا تمكناً ثقافياً ، ولا إستقراراً أمنياً خصوصاً منذ بدايات هذا القرن .

يقول الدكتور الآلوسي في كتابه (الفلسفة والإنسان) (ان الفلسفة موجودة في أي مجتمع في الأقل منذ بضعة آلاف من السنين ،

موجودة في الفرد بأي درجة من الوعي أو عدم الوعي ، وموجودة في المجتمع بشكلين بشكل وعي منظم ، وبشكل شعبي اعتيادي يفصح عنه مجموع ما تواضع عليه المجتمع او فئات منه ، وفي التقاليد ومختلف أشكال الشعور والتفكير والعمل لدى الجماعة ...) (1) .

بهذا التعريف السهل المبسط الذي قدّمه الدكتور الآلوسي للفلسفة وفي ضوء توقعات خبراء الذكاء الاصطناعي وشركات انتاج التقنية من ان المستقبل التقني الرقمي سيوفر تطبيقات ذكية تخاطب في النفس حاجاتها وميولها وتعفي المستخدم من التفكير بوجود ذكاء اصطناعي مستعد وفي كل الأوقات لتقديم إجابات ونصائح ومقترحات وحلول لكل ما يخطر على بال المستخدم أو يعترضه في حياته اليومية .

مع ما يمكن ان تحمله هذه التقنية المتطورة معها من خدمة كبيرة جداً ، فإنها ستشكل خطراً على الجانب الإبداعي في الذات الانسانية المرتكز على قدرة العقل على التفكير والابداع .. فإذا تعطل او اهمل هذا الجانب الأنساني ، اصبح الانسان كتلة بشرية اقرب الى الآلة الذكية منه الى الإنسان الحيوي المبدع المفكر ، واذا اصبح الانسان كتلة بشرية ، تحول المجتمع الى تجمعات بشرية . واذا تحول المجتمع الى تجمعات بشرية ، فقدت البشرية حضورها الحياتي

1- الفلسفة والانسان – د. حسام الالوسي – دار الحكمة – بغداد – 1990- ص185

واستحالت الحياة الى روتين لا بد منه ، والاستمرار فيها مرهون بدرجة تفاعل تلك الكتلة البشرية بمنتجات شركات التقنية الرقمية ، فالتسوق سيضحى ميزة حياتية ، وستصبح كثرة الاستهلاك مؤشراً حياتياً . عندها سيمكن تعليب المشاعر وتسطيح العقول ، وفرض الفردية كحل للتخلص من الحاح الضمير على تفعيل الشعور بالمسؤولية ، وفي الحرية الرقمية مجال لهذا . لذا سنكون بحاجة الى وجود الفلسفة كنمط حياتي يعيشه كل شخص ، يعطيه الشعور بأنه كائن متفوق ، لا يزال قادراً على العطاء والابداع بصفته فيلسوفاً بالقدر الذي تمليه عليه معرفته ودرجة تعليمه ومدى فهمه لحياته وتصوراته للواقع . فالفلسفة تحث صاحبها على الاستفهام والاستعلام ، وادوات التقنية تساعده في الحصول على نتائج لهذا الاستعلام . ومن مزج الاستفهام بالاستعلام سيتمكن المستخدم من تكوين تصور ولو بسيط عن مكانه على خارطة العالم اليوم ، واتجاه حركته فيها ، لكي يتمكن من توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة وعيه ، وان لا يخضع لهذه التقنية المتطورة كونها حل سهل متوفر مقبول .. وبوجود الاستفهامات التي يطرحها علم الانثروبولوجيا وهو يدرس ثقافة عصر الانسان ، سيتمكن المستخدم العربي من رؤية حاضره رؤية مستقبلية متواصلة مع الماضي . لا من حيث التقليد ، ولا من حيث التقييد .. ولكن من حيث إعادة بناء الزمن لتغيير

النفوس من اجل تحريرها من قبضة القوة المهيمنة على المشهد الحياتي في حاضره التي ربما تكون قوة غير صديقة للانسان والبيئة .

الثقافة العربية المعاصرة ومشاريع الذكاء الإصطناعي

تشير تقارير واخبار علمية في مجال الذكاء الاصطناعي الى امكانية تطوير تطبيق Chat GPT ليتمكن في عام 2030م من تزييف 90% من الفديوهات الموجودة على شبكة الانترنت..

هذا يعني ان كل شيء يمكن دحضه مستقبلاً!.

حين يصل الحال بالناس الى مرحلة عدم القدرة على التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف ، سيكون الضوء الأخضر قد اذن بدخول الآلات الذكية الى حياتنا ومشاركتنا فيها والتحكم بها حد تقرير المصير كما يذهب الى ذلك بعض الاختصاصيين في مجال التقنية ومشاريع الذكاء الاصطناعي .

وقد يستحيل الواقع اكذوبة يمكن التلاعب بها تقنياً ببرامج الذكاء الاصطناعي التوليدي بحيث يمكن خداع الناس العاديين وربما حتى المختصين منهم .

ان استمرار مشاريع الذكاء الاصطناعي في تطوير قدرات الآلة الذكية سيوصله الى حال يكون فيه الروبوت كفأ لعدد قليل من المبدعين

الحقيقيين ، اما بقية الناس فسيبدون أقل ذكاءً من الآلة الذكية ، وهنا سيحدث التحكم الآلي بالبشر وستتعقد على الثقافة العربية مهمة التوثيق . فبعد دخولنا القرن الواحد والعشرين ، اصبح التوثيق امراً مشاعاً ، ومع اشاعته ظهرت غايات واجندات لها مشاريع تستهدف نوعاً معيناً من التوثيق يقفز في كثير من الأحيان على الواقع وعلى حقيقة ما حدث ويحدث . لا يراد من هذا التزييف التلاعب بأحداث المرحلة التي يتم فيها عملية التزييف العميق ، وانما يراد منه توجيه مرحلة مستقبلية ، هي في حدود عقد او عقدين وربما أكثر . واعتماداً على ما اظهرته إحصائيات حديثة من إن غالبية شباب اليوم يعتمدون على الانترنت اعتماداً كلياً في استحصال الخبر والمعلومة ، فإن الخطورة المتوقعة هي ان يقدم لجيل المستقبل وثائق الكترونية عن احداث مرّ عليها الزمن ، لن يكون بوسع ثقافة هذا الجيل ان تسعفه في ادراك ما اذا كانت هذه الوثائق مطابقة للواقع ام هي مزيفة تم اعادة انتاجها ببرامج تقنية رقمية ذكية تخدم اهدافاً واغراضاً معينة .

لذلك يبدو ان من بين المشاكل التي ستواجهها الثقافة العربية المعاصرة هي ان سنوات عمر الجيل الجديد لن يسعها ان تعينه على استيعاب وفهم تاريخ ثقافة الأمة في زمن التسارع المذهل للتطور العلمي والتقني . كما ان سنوات عمر جيل الآباء الموجودين على قيد

الحياة لن يسعها ان تعينهم على تقديم فهم واضح يساعد على استيعاب هذا التاريخ الثقافي للجيل الشاب ، لأسباب عدّة ، منها ظهور شعور نفسي بوجود فاصل زمني تقني بين الآباء والأبناء سببه تمكن جيل الشباب من أدوات التقنية المتطورة التي هي اليوم مصدر للثقافة ، يقابله ضعف في تمكن جيل الآباء من هذه التقنية . من شأن هذا التفاوت ان يعرقل تحرك جيل الآباء لمدّ يد العون لجيل الأبناء في تكوين فهم واضح نافع لثقافة المجتمع العربي ، فهماً لا يحرم جيل الشباب من شعور التواصل مع الماضي ، ولا يتسبب في شعور جيل الاباء بالقلق على مستقبل ثقافة الأمة ، بعد ان هيأت تطبيقات الذكاء الإصطناعي تقديم كل ما يحتاجه المستخدم من مادة ثقافية تصل عند بعضهم حدّ تزويد الذكاء الاصطناعي بنصّ لأحد الكتّاب القدماء وربّما حتى المعاصرين ، ثم يطلب من تطبيق chat GPT مثلاً ان يقدم له نصّاً قريباً في محتواه ومعناه من النص الأصلي . في ثوان قليلة سيقدّم الذكاء الاصطناعي نصّاً جديداً بمفردات وتعبيرات قريبة جداً من محتوى النص الأصلي ، قد يتعذر كشف هذا التلاعب الحاصل . حتى وان حصل اكتشافه من قبل مثقف حاذق ، وناقد متمرس ، فقد لا يسعه نقد ذلك خوفاً مما يمكن ان يلحقه من اذى بسبب غياب روح الثقافة في عصر المادة ولغة الأرقام والمصالح وهيمنة الانفعالات . ولعل هذا ما جعل كثيراً من مثقفي جيل الآباء يفضلون جواً هادئاً من النشاط الثقافي ، تتحرك

فيه الموضوعات التقليدية التي لا يرتفع فيها ضغط الكلمات ، كي لا ينبض قلب الفكرة بالوعي المتدفق فتتحرك منظومة الجسم المبتلاة بأمراض العمر المزمنة وعاهات ما بعد الفوضى السياسية والأمنية في أغلب بلدان العالم العربي من بداية القران الواحد والعشرين حتى يومنا هذا .

من خلال متابعة حسابات بعض مستخدمي (الفيسبوك) ممن يضعون عنوانات ثقافية لحساباتهم الرقمية . رصدت حالات ظهر فيها عدد من الناشرين وهم يستعيرون نصوصاً ليست لهم ، ينشرونها على حساباتهم الخاصة في مواقع التواصل الإجتماعي من دون الإشارة الى اسم صاحب النص الأصلي ، وكنت قد طلبت من احدهم ان يستخدم (التنصيص) وهو يضمن منشوراته كلاماً لغيره . شكرني على ملاحظتي ، لكنه لم يلتزم بها ، ومضى في منشوراته اللاحقة على المنوال نفسه .

ومن مشكلات الثقافة المعاصرة في عالم المال والاعمال ، ان المثقف الحقيقي الذي يعمل من اجل انسنة الوجود البشري ، سيخضع لمضاربات السوق ، فقد يهبط مستوى اسهم قبوله كمثقف ايجابي ، فيتم تداوله كمثقف سلبي عبر التشهير والتزييف العميق لاقواله والتسقيط والتقليل من شأن افكاره وطروحاته ورؤاه .

لعلنا في عصر المال والاعمال بحاجة الى عملة ثقافية يمكن استخدامها في مساحة كبيرة كعملة صعبة ، فإن لم تكن عملة عالمية، فالأولى بنا إيجاد عملة ثقافية لها من المعاصرة ما يتيح تداولها في كل الاوساط الثقافية العربية الاسلامية ، وفي كل مجالات الحياة التجارية والاجتماعية والصناعية والسياسية .

توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة الذكاء الطبيعي

مثلما هناك توظيف سلبي للذكاء الاصطناعي من قبل بعضهم . هناك جانب ايجابي يتمثل في استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي من قبل الذكاء الطبيعي بهدف اظهار فكرة خلاقة تمنحها تقنية الذكاء الاصطناعي حضوراً لافتاً . خصوصاً في زمن اخذ فيه كثير من الناس يبتعدون عن قراءة الكتاب . فبواسطة تقنية الذكاء الاصطناعي يستطيع الذكاء الانساني ان يحوّل فكرته الى تطبيق الكتروني مصوّر بتقنيات الشاشة والالوان والمؤثرات ، ليتم بذلك اختصار موضوع وتلخيص كتاب بعدد قليل من دقائق التشويق والفائدة التي تصل بالمشاهد والمستمع الى إثارة وعيه الذاتي وتوسيع مداركه ، من خلال انبهاره بتقنية الذكاء الاصطناعي وانبهاره بفكرة العقل البشري الذي نجح في استثمار التطور التقني لصالح ذكائه .

هل تسهم التقنية الذكية في كشف حقيقة ثقافة الكاتب ؟

إذا كان الحضور الثقافي للكتاب الورقي قد تراجع في عصر ظهور الكتاب الالكتروني وخدمة رفع الكتب مجاناً وبأعداد كبيرة على شبكة الانترنت . فإن ذلك لم يقلل من قيمة الكتاب كمصدر ، لكن المشكلة الجديدة التي ترافق ظهور تطبيقات الذكاء الاصطناعي هي ان كتباً رقمية ستظهر على يد آدميين لم يُكتب لهم ان يكونوا على نصيب كافٍ من التثقيف الذاتي ، ثم اصبحوا لظرف ما في حاجة نفسية الى ان يقدّموا انفسهم للمجتمع على انهم مثقفين ، فوجدوا في تطبيقات الذكاء الاصطناعي ما يساعدهم على ذلك ، فبمساعدة chat GPT مثلاً يمكن إعداد كتاب وتقديمه على انه من بنات اعمال ذلك الشخص . وفي زحمة مشاغل ومشاكل الناس المعاصرة وتسارع الزمن، سيختلط الأمر على المتلقين ولن ينتبهوا ، ولعلهم لن يبالوا ما اذا كان هذا الكتاب من ابداع الذكاء الانساني ام هو من انتاج الذكاء الاصطناعي . في هذه الحالة سيمرّ الكتاب بمرحلة قلقة تقلّ فيها قيمته كمصدر موثوق . من بين محاولات مواجهة هذه المشكلة ، ينبغي تفعيل قانون موحد لحماية الملكية الفكرية حول العالم ، وتمكين العقل العربي من وضع آلية تقنية بمهارة عقلية وخبرة معرفية تكشف التزييف في التأليف .

لقد بدأت تظهر هنا وهناك صحف ومجلات وكتب الكترونية

ومطبوعات ورقية تحوم حولها كثير من الشكوك في أنها ليست ابداعاً انسانياً خالصاً بقدر ما هي انجاز آلي ذكي ، قامت بها برامج وتطبيقات ذكية وظفها المستخدم من اجل ان يقال عنه انه شخص مثقف .

هل تصبح الثقافة الشعبية ظاهرة عامة ؟

هناك مشكلة تواجه الثقافة العربية المعاصرة في ظل مشاريع الذكاء الاصطناعي سببها كثرة انتشار اجهزة التقنية الحديثة، وسهولة استخدامها من قبل الجميع على اختلاف المستويات الثقافية والأعمار والإتجاهات والميول النفسية والايديولوجية في مجتمع تغلب فيه الثقافة الشعبية على ثقافة النخبة من حيث التأثر والتأثير، ومن حيث دخول العصبية القبلية والعصبية المذهبية عنصرين مهمين في تشكيل الهوية الاجتماعية للفرد وللمجتمع .

الامر الذي حمل بعض الاجندات السياسية والطائفية وبعض المشاريع الموجهة ، على استثمار هذه المزايا التقنية المتطورة في اجهزة الموبايل والحاسوب الشخصي والإنترنت من أجل إثارة البعد القبلي والبعد الطائفي في ثقافة المجتمع الشعبية لتوسيع الفجوة بين التراث والمعاصرة ، من خلال حث الجيل الجديد على عدم الأخذ بما يتقاطع من مواد التراث الأدبي والفني والتاريخي مع التوجهات

الطائفية والمذهبية . فقد نجد مثقفاً رفض ان يقف برصيده الثقافي على عطاء وفكر مثقف آخر لأنه من طائفة غير طائفته الدينية ، او لأنه من قومية غير قوميته ، أو لأن تفكيره مرتبط بخط لا يترضيه المزاج النفسي .. ان وضع هكذا فواصل بين مصنفات التراث الادبي والتاريخي للمجتمع العربي ، سيعرّض ثقافة الجيل الجديد الى التجزئة التي من شأنها ان تقوده في ظل الوضع العام القلق عالمياً ، الى التحجيم الثقافي ، الذي سينتج عنه عقم فكري ، وتراجع حاد في حركة الابداع. وقد يجد هكذا حال قبولاً عقائدياً تطمئن له النفس المحصورة بين مطرقة الإعتقاد التقليدي وسندان الحداثة القلقة . او يجد نفوراً من قبل النفس المتعطشة الى حرية التفكير ، التي لكي ترتوي ترى ان عليها ان تسعى وراء التغريب الثقافي او ترضى بالتهجين الثقافي ، ظناً منها انه ماء بينا هو في واقع الحال سراب .

لعل هذا ما جعل بعض المثقفين العرب يتخذون من الظرف الاقتصادي التقني المتسارع والظرف الإجتماعي الثقافي المتراجع رأس مالٍ يحرّكون به تجارتهم ، فنراهم يروجون لأفكار من قبيل ان التراث لم يعد قادراً على الوقوف على رجليه في عصر القطارات التي تسابق سرعة الضوء ، والسيارات ذاتية القيادة ، والطائرات المسيرة والحواسيب الجبارة القادرة على انجاز مليون مليار عملية خوارزمية في وقت قصير جداً يفوق وقت قراءة معلقة لشاعر جاهلي ، أو قصيدة لشاعر اسلامي مرّ عليها الف عام .

كثير من المفكرين والكتاب العرب ، حتى الذين اثارت طروحاتهم استياء الوسط الثقافي والاجتماعي ، سيكون لهم مواقع مهمة في تاريخ الثقافة العربية ، لأنهم حاولوا صادقين تقديم رؤى جديدة ومفيدة يرتجى منها خدمة واقع المجتمع العربي الاسلامي . حتى لو ان تلك الطروحات كانت قاصرة عن ادراك الحقيقة . خصوصاً في القرن الواحد والعشرين الذي يمتاز بالتطور التقني المتسارع في العالم الغربي ، وبالتطلع الثقافي المتسارع في العالم العربي .

بين العقل الانساني والذكاء الآلي

اصبح التطور التقني الآلي الرقمي اليوم واقعاً مفروغاً من قبوله وتقبله. ولم يعد مجدياً إعداد بحث عملي ناجح او دراسة عملية ناجحة في اي مجال من مجالات العلوم وانت تجلس منعزلاً في ركن مكتبك الخاص ، ما لم يكن لديك اتصال وتواصل مع العالم من حولك حيث تشهد احداثه حركة تغيير متواصلة ومتسارعة . المشهد الثقافي الخاص بكل مجتمع هو من بين تلك المجالات التي نحتاج في عالمنا العربي المعاصر الى ان ندرسها ونبحثها في ضوء علم الانسان – الانثروبولوجيا – للوقوف على طبيعة المشهد الثقافي الحياتي لمجتمعاتنا العربية لمعرفة الكيفية التي نوظف بها مواردنا الطبيعية والبشرية في مشاريع تخدم تمكين المجتمع ثقافياً في خط التطور الذي يشهده العالم من حولنا .. اننا نسعى من خلال حياتنا الى تكوين

شخصيات صالحة وناجحة تبقى بعد موت اجسامنا ، يستفيد منها الأحياء بعدنا في تكوين شخصياتهم . هكذا جيلاً فجيل ، حتى تبلغ البشرية ما امكنها من درجات الكمال والجمال العليا بحيث تغدو الحياة كما وصفها النبي الخاتم (حلوة خضرة والله مستعملكم فيها فانظروا كيف تعملون) (1) .

يقول الطبيب الفرنسي (ليكونت دي نوي) (على الإنسان أن يفهم إن التطورات الآلية التي أدخلها في بيئته وراح يلائم بينه وبينها لن تكون لها إلا نتيجة من نتيجتين ، وهما التقدم أو الدمار حسب نجاحه في شفاعتهما بالتطور في بيئته الخلقية. فواجب الانسان إذن ان يزيح جانباً معالم حضارته الباطلة ويقيم في مكانها معالمه الصادقة وهي الكمال الذي يوافق كرامة الانسانية ، وليس المطلوب منه ان يحارب التقدم الآلي – ولا طاقة له بمحاربته لما يرجى من المزيد في تقدم العلم والطب – بل بتهذيب النفس والارتفاع بامثلتها العليا) (2) .

ما يميز العقل البشري عن الآلة الذكية هو ان العقل البشري عقل مرتبط مباشرة بمنظومة حسية حيّة يفتقر اليها الروبوت الذكي . لذا فالعقل البشري عقل حيوي ، بينما يمكن وصف الآلة الذكية بالعقل

1- تاريخ اليعقوبي – ج2 – المكتبة الحيدرية – النجف – 1964 – ص79

2- عقائد المفكرين في القرن العشرين – عباس محمود العقاد – القاهرة – 1984 – ص86

الفعّال ، الأمر الذي يجعل الآلة الذكية تجيب بسرعة ودقة اكبر من الإجابة التي يقدمها العقل البشري للسؤال نفسه الموجه اليهما .

في كتابه (الانسان ذلك المجهول) يقول الطبيب الفرنسي الكسس كارل الحائز على جائزة نوبل عام 1912م : ان النظر الى الانسان كأنه آلة جسدية هو " خطأ طبي" أو خطأ علمي تثبت للباحث جرائره الحسية كما يثبت كل محسوس يعتمده اصحاب التجارب الطبية والعلمية (1) ..

يتخوف بعض الباحثين من مستقبل علاقة الانسان بالآلة الذكية إذا شكّل الذكاء الإصطناعي تهديداً لحيوية العقل البشري ، وتمكّن من التأثير على عملية التفكير حين تتعلق بإستحضار بيانات ومعلومات من الماضي . ولعل تلك المخاوف مرهونة بأجندات النظام العالمي المتحكم بمشاريع الذكاء الإصطناعي ، فكلما أمعن هذا النظام العالمي في اعطاء اولوية للمكاسب المادية على حساب قيم الإنسانية، فقد نرى ان هناك تهميشاً للتفكير النقدي لصالح الإعتماد الأعمى على الأنظمة الذكية ، وتركيز سوق السلع على تحويل الإنسان الى كائن مستهلك للبيانات بدلاً عن تحفيزه على أن يكون منتجاً للمعرفة . فهل سيحافظ العقل البشري على ريادته وسيادته الفكرية

1- كتاب عقائد المفكرين في القرن العشرين – عباس محمود العقاد – دار المعارف – مصر– 1984 – ص83

في ظل هذا التطور المتسارع للتقنية الرقمية .؟

قد يصبح التسليم للذكاء الإصطناعي خياراً جذاباً في المستقبل ، وقد يبدو ذلك واضحاً كلما اتسعت مساحات إستثمار النظام العالمي الجديد في مجالات الحياة الإنسانية ، وكلما كثرت أموال الشركات المنتجة للتقنية ، وكلما كثرت حاجة الناس الى استخدام تلك التقنية. لكن مع كل هذا يخبرنا التاريخ ان التغيير الكبير يحدث غالباً في الوقت الذي يرى فيه الانسان انه مجبر على التكيف مع الواقع الجديد .

نهاية الثقافة

هل يقدّم المثقف العربي أعماله اليوم من أجل تثقيف المجتمع أم من أجل إظهار ثقافته للمجتمع ؟

يمكن القول ان المجتمع العربي على مدى عشرين عاماً منذ بداية القرن الواحد والعشرين يعاني من متلازمة نفسية إجتماعية ثقافية ، حيث كثرة المشاكل والهموم المتشابهة على الرغم من اختلاف العادات والطباع والتقاليد في مجتمعات العالم العربي ، فهناك اعراض لأنماط سلوكية غريبة آخذة بالإنتشار في الأوساط الإجتماعية ، لا تجد من يعالجها رغم تشخيصها.

من اعراض المتلازمة الإجتماعية النفسية الثقافية ، الشعور بالغربة داخل الأوطان ، والرغبة بالعزلة بوجود اجهزة التقنية المتطورة كالانترنت والموبايل ، وحالات التنمر الإجتماعي ، والتمرد السلوكي ، والتمظهر الثقافي ، وحب الظهور ، والمراهقة المرافقة للنمو المعرفي والمكانة الإجتماعية والمواقع القيادية .

مهمة الثقافة العربية اليوم القيام بإعادة بناء أكبر عدد ممكن من صفحات التاريخ الثقافي للمجتمع العربي تؤهله لإقامة نظام قادر على مواكبة التطورات والتغيرات العالمية وتأثيراتها المحلية . لا تكمن المشكلة في وجود أو عدم وجود مثل هكذا مهمة أو مبادرة ، فقد انبرى عدد من المفكرين والكتّاب والمثقفين العرب للبحث والعمل على تحقيقها . لكن المشكلة تكمن في السؤال عن موقع الثقافة العربية اليوم في دائرة الزمن . هل هي ضمن دائرة الزمن المعاصر ؟ مشكلة الثقافة العربية اليوم متعلقة بحال العقل العربي الذي لا يظهر انه عقل ديني في بحثه عن تطور العلم . ولا هو عقل لا ديني في بحثه عن تطور المجتمع . هو عقل انفعالي محكوم بأدوات تفكير دينية واجتماعية وتاريخية وسياسية ، تهيمن عليه على وفق درجة فاعلية كل منها في التأثير .

مالم تتمكن الثقافة العربية من إعادة هيكلة تفكير العقل العربي المعاصر على وفق أسس موضوعية ، انسانية ، لن تشهد مجتمعاتنا

تمكناً ثقافياً .. ستبقى حياتنا عائمة على بحر من المفاجآت ، كثيرها ضار ، وقليلها سار ، تعصف بها امواج التغيير جيئة وذهاباً ، والناس فيها على حذر وقلق وترقب ، لا يجدون في النفس متسعاً من هدوء لإعادة ترتيب الأفكار وتحديد المسار .. لذا فمن اولويات عمل مشروع نهضة الثقافة اليوم الإهتمام بالحالة الصحية لثقافة المجتمع في زمن تكثر فيه التفاهات والمتاهات ، مثلما تكثر فيه المعلومات والبيانات . لأن من شأن حيل التكنلوجيا ان تنشئ واقعاً مزيفاً ، خصوصاً ان الثقافة العامة للناس اخذت تتشكل على وفق معطيات رقمية ، إذا وظفت فيها حيل التكنلوجيا نتج عنها ثقافة وهمية هدفها إخضاع المجتمع لمؤثرات مرحلية يحكمها نظام عالمي يعمل بمشاريع سياسية واقتصادية وثقافية بتقنية رقمية في فضاء افتراضي يوفر بدائل سهلة ومقبولة لها تأثيرها في المشهد الإجتماعي الثقافي ، مثل حضور الصورة بدلاً عن جهد الكتابة الذي يبذله المثقف في صياغة عبارة وكتابة مقالة وتأليف كتاب ، فالتقنية تتيح تحويل الكلمات الى صورة ، وترجمة الفكرة الى صورة . هنا سيتراجع حضور اللغة في حركة الثقافة ، وستحل محلها خوارزميات ومعادلات رقمية توفر السرعة وتختزل كثيراً من الحبر والورق والكلمات . بهذه النتيجة سيكون مستقبل الثقافة العربية مهدداً بظهور ثقافة رقمية كشفت عن جانب منها بعض المنشورات

والتعليقات لبعض متداولي مواقع التواصل الإجتماعي يمكن وصفها بتغيير طريقة التعبير اللغوي بواسطة الاستخدام التقني للحرف العربي ، فلكي تعبر عن إعجابك تكتب (رووووووعة) أو (رااااائع) بدلاً عن عبارة تصف ذلك الإعجاب. ولكي تظهر حجم انفعالك وتأثرك تكتب (أللللللله أكبر) . ولكي تظهر عاطفة قوية تجاه شخص ما تكتب (أحببببببك) وهكذا ..

بين التدريب النفسي والتدريب الذهني

ثقافتنا العربية اليوم أمام منعطف يبدو خطيراً ، أفرزته وقائع الأحداث ، يتعلق بمصير الثقافة بين التدريب النفسي والتدريب الذهني ، ودخول التسارع الزمني على خط إدارة هذا التدريب أو ذاك، فالحالة التي يظهر عليها المجتمع انه مجتمع مثقف هي في الغالب حالة ناتجة عن تدريبه نفسياً على تقبل مظاهر سلوكية واعتبارات معينة بإكسسوارات مظهرية ، ولعل ما ينتجه سلوك أفراد في مناسبات معينة مثل خسارة فريق امام آخر في لعبة كرة قدم من عراك واشتباك وتحطيم لزجاج السيارات وتخريب للطرقات وغيرها . يدلل على ان تلك الثقافة التي عليها اولئك الأشخاص هي حصيلة ذلك التدريب والتعويد النفسي ، وليست حصيلة التدريب الذهني . هذا يعني ان المجتمع يضيّع من عمره كثيراً في اعتياد ثقافة التدريب

النفسي على حساب ثقافة التدريب الذهني ، لأن ثقافة التدريب الذهني تجعل من الشخص متحكماً بانفعالاته . قادراً على ايجاد مخرج لأزماته . لكن بسبب اختلال وظيفة التدريب في عملية التربية والتعليم ، ودخول المجتمع في فترات من القلق والإضطراب النفسي والشد العصبي وانماط الحياة الروتينية الرتيبة لفترات تتراوح بين عقد وعقدين من السنين ، ظهر في المجتمع اشخاص ناضجين جسمياً ، لكنهم مراهقين عقلياً ، كمراهقة المسنين ، ومراهقة السياسيين ، ومراهقة المتعلمين ، ومراهقة المتدينين . فقد سجلت أحداث البلاد ظواهر غريبة ومزعجة ، كانت محط إنتقاد المجتمع ، ورفض الذوق العام . منها التدني الأخلاقي لسلوك أكاديمي داخل الحرم الجامعي ، وغياب الحس المسؤول لموظف حكومي ، وموت الضمير الإنساني والوطني لمسؤول سياسي ، وسقوط المبادئ والقيم في سلوك معمم او معلم.

التداول الثقافي

يهيمن النظام العالمي اليوم على مصادر قوة الإقتصاد العالمي ويحركها بعيداً عن طبيعة المجتمعات في حاجاتها الثقافية ، لذلك نما في تفكير العقل السياسي مفهوم الخداع بمرور الوقت كي يتمكن من إدارة أوهام الجماهير ، فبينما يغرق المجتمع في تفاصيل الحياة

الجديدة ، يلجأ العقل السياسي الى خداع الجماهير من أجل كسب مزيد من الوقت في السلطة ، ومزيد من الأصوات في الإنتخابات .

المشكلة التي تواجهها الثقافة العربية اليوم هي ان جيل المستقبل سيجد نفسه يتداول ثقافة قائمة على هذه المفاهيم المغلوطة والضارة والسيئة . وجود هذا النوع من التداول الثقافي يهيئ لأرضية يتم عليها تخريب المجتمع وهدّ بنائه الأخلاقي والقيمي ، قبالة تشييد بنائه العمراني . من ذلك الزيف نجد ان كثيراً من بلدان العالم العربي اليوم توصف بأنها بلدان متمدنة ، ديمقراطية ، بينما تكشف الأحداث عن حجم التلاعب في صناديق الإقتراع ، وحجم التلاعب في ميزانية الدولة ، وحجم التلاعب في مقدرات الناس ، هكذا يصبح الناس محكومين من سلطة تخدعهم ، ويعلمون انها تخدعهم . بهذا الحال تكون الثقافة العربية المعاصرة في موقف محرج جداً ، لأنه سيتعذر عليها تحديد أي جزء في بدن المجتمع هو القادر على كشف الحقيقة ، وأي جزء في بدن الإنسان هو القادر على كشف الخداع ، وأي جزء في تفكير الإنسان هو القادر على إجتياز هذه الإختبارات بنجاح لصالح الحقيقة والصدق .

يحتاج مفهوم الصدق الى قوة اقتصادية كبيرة تحرك عقل السلطة بإتجاه إنتاج قرارات إصلاحية قوية .

يبدو ان الثقافة الشعبية قد تأثرت بالسوق الإستهلاكية وبروتين الحياة اليومية في غمرة الإنتاج والإستهلاك العالمي . إذ لم يعد من السهل دعوة الناس الى توظيف ثقافة موضوعية في حياتهم الإستهلاكية الروتينية ، لأنه لم يعد مع الناس ما يكفيهم من وقت لتلبية هذه الدعوة ، مع علم كثيرين ان التغيير السريع والتطور المذهل للتقنية سيفرض عليهم ان يتحولوا الى اشخاص مستهلكين (بفتح اللام) بعد ان يمضوا وقتاً من حياتهم كمستهلكين (بكسر اللام) . هنا ستصبح ثقافة النخبة أمام تحدي خطير ، فلا هي قادرة على التعاطي مع الواقع المادي الرقمي المجرد ، ولا هي قادرة على تقديم بدائل آمنة تحفظ حاضر الناس وتضمن مستقبلهم . فلا العقل السياسي الجديد يدعمها في مشروع تمكين المجتمع ثقافياً ، ولا العقل الديني الكلاسيكي ، ولا ثقافة المجتمع الشعبية ، ولا ظروف الناس الإقتصادية . ولا أجندات المؤسسة الثقافية الرسمية. هنا تبرز اهمية قيام مشروع نهضة ثقافية معاصرة في المجتمع العربي لحفظ هويته وتاريخه الحضاري ودوره الثقافي وحاضره الإجتماعي ومستقبله الانساني .

دور الشباب العربي في مشروع النهضة الثقافية المعاصرة ..

الشباب لفظ يُراد منه بالمفهوم البيولوجي ، العمر الزمني ، ويقصد به عدد سنوات العمر التي يبلغها الشخص . فيقال عن فلان انه شاب في العشرين من العمر ، والرقم صفة عامة يشترك بها كل من يبلغ عدداً معيناً من سنوات العمر من الجنس البشري، ذكوراً واناثاً ، بغض النظر عن محتوى الشخص ومؤهلاته وملكاته وقدراته ومهاراته وشخصيته وميوله وثقافته .

هناك تعريف آخر ، اوسع مدى من التعريف البيولوجي . انه التعريف السيكولوجي ، يطلق عليه العمر النفسي ، وهو اصطلاح يستخدمه علم النفس للإشارة الى الحالة المعنوية التي عليها الشخص، فعلم النفس لا يشترط عدداً معيناً من سنوات العمر لوصف الشاب بقدر ما يشترط الحالة المعنوية ، مثل استعداد الشاب للتطور ، وحبّه للحياة ، ومقدار حماسته ورغبته في تكوين ذاته واثبات ذاته وبناء شخصيته وطاقة الخير التي لديه .

إذا أضفنا التحصيل التعليمي والمؤهل العلمي الى رصيد عمر الشخص ، سنقف عند رصيد حياتي مهم يمتلكه اليوم عدد كبير جداً من الشباب العربي بحكم السياق العام لحياة كثيرين متمثلاً باتمام الدراسة الجامعية .

إذا قارنّا هذا الرصيد الحياتي الشامل للعمر والتحصيل التعليمي والمعرفي ، بين جيل اليوم والأجيال السابقة في القرن العشرين مثلاً ، سنجد ان هذا الرصيد كان كافياً لمتطلبات حياة تلك المرحلة، لكنه اليوم لم يعد كافياً لمتطلبات حياة المرحلة الحالية التي يعيشها جيل الشباب العربي في ظل عصر التقنية المتطورة ، مع ان القرن العشرين كان عصر تطور علمي ، كما هو عصرنا اليوم ، لكن الفارق بين الاثنين، هو ان التطور العلمي اليوم اخذ يسير بسرعات كبيرة قياساً الى ما كان في السابق.. هذا التطور المتسارع يقتضي تطوراً في ثقافة المجتمع لكي يستطيع افراد المجتمع ان يستوعبوا هذا التطور الحاصل في العالم ، ولأن هذا التطور الثقافي لم يحصل في مجتمعاتنا العربية بموازاة التطور العلمي في الغرب ، فقد ظهرت الآثار السلبية للتطور التقني ، حيث ازدادت متطلبات الحياة ، وكثرت المشاكل الاجتماعية، والمشاكل الأسرية ، والمشاكل الشخصية .. مما اقتضى من المفكرين والباحثين الوقوف على امكانية معالجة هذا الحال ، فرأيتُ ان أضيف الى رصيد عمر الشباب الزمني والنفسي والتعليمي الذي تطرقت اليه ، رصيداً جديداً اطلقت عليه العمر الثقافي ، ولا اقصد بالثقافي هنا ما هو متداول من ان المثقف هو ذلك الشخص الذي يتمتع باطلاع واسع ومعرفة متنوعة ، وهو الذي يعرف شيئاً عن كل شيئ ، فهذا الفهم الاجتماعي لاصطلاح الثقافة متداول ،

ولعله أوسع تداولاً اليوم في ظل التطور العلمي والتقني ، حين صار لدينا مطابع حديثة ، واصدارات كثيرة ومتنوعة من كتب ومجلات ونشرات . وصار بمقدور كل شخص ان يحمّل بواسطة جهاز موبايله الخاص عشرات ومئات الكتب والمعلومات ، وصار بمقدوره ان يقرأ عشرات الكتب ، وعندما دخلت التقنية على خط منافسة الانسان في قدرة الذاكرة على حفظ المعلومات والبيانات والارقام إذ صار بمقدور الحاسوب الشخصي ان يحفظ في ذاكرته الرقمية ما يفوق قدرة ذاكرة الانسان الحية بأضعاف المرات ، لذا صار من الضروري البحث عن مفهوم أوسع للثقافة ، وارى ان هذا الأمر يتحقق من خلال علم الانسان – الانثروبولوجيا – لاهتمامه واشتغاله بكل ما له علاقة بطبيعة وثقافة الانسان ، فهو يتناول تأثير اللغة في الفرد ، ويتناول تأثير الدين في حياة الفرد والمجتمع ، ويأخذ بنظر الاعتبار كل من العادات والتقاليد والتراث الشعبي ، حيث يقوم الباحث الانثروبولوجي بتدوين الحدث الحياتي بتفاصيله كما وقعت ثم يخضعها للتحليل والتأمل والتفكير من اجل التحسين والتطوير والمعالجة .

في القرن العشرين كان اكتشاف الحاسوب يمثل تطوراً علمياً كبيراً ، لكنه لم يؤثر سلباً على طبيعة حياة الفرد والمجتمع كما يحصل مع الموبايل وتطبيقات الانترنت وتقنية الذكاء الاصطناعي .

في القرن العشرين كنا اذا اردنا ان نتعامل مع الحاسوب ، احتجنا الى تعلم لغة من لغات البرمجة ، اعقبتها مرحلة اكتشاف نظام (الوندوز) الذي اغنى كثيرين عن تعلم لغة من لغات البرمجة لأجل التمكن من استخدام الحاسبة ، فكان يكفي ان يجتاز دورة تعليمية تشرح له كيفية استخدام النظام الجديد ، وبمقدور أي شخص دخول هكذا دورات تعليمية والانتفاع بمادتها العلمية ، لكن ما حصل في القرن الواحد والعشرين هو أن العلم عمل على أن يجعل التطور التقني والمنتجات الرقمية المتطورة في خدمة الجميع وفي متناول الجميع بغض النظر عما اذا كان المستخدم يعرف أو لا يعرف شيئاً عن علم الحاسبات أو علم التقنية الرقمية أو علم الاتصالات .

هذا التقدّم العلمي الكبير اتاح للجميع بغض النظر عن اعمارهم ومداركهم ومؤهلاتهم ، ان يستخدموا هذه التقنية المتطورة ما داموا قادرين على اقتنائها .. وهذا التوسع الكبير في استخدام اجهزة التقنية الرقمية المرتبطة بشبكة الانترنت ، يترتب عليه توسعاً كبيراً في المادة التي يتم تقديمها عبر تلك اجهزة تلك التقنية ، والحديث عن مادة ثقافية بهذا الحجم الكبير يشتمل بكل حال من الاحوال على ما هو جيد وما هو رديئ ، والحديث عن هذه الثنائية ليس جديداً ، فالخير والشر .. والحقيقي والمزيف .. الصح والخطأ .. ثنائية لازمت الانسان طوال حياته .. اختلف الأمر اليوم عندما اتاحت التقنية مديات من

التطور يراها مختصون في مجال التقنية انها بدأت تتدخل في حياة الانسان ، وانه سيتعذر عليه التمييز بين الصح والخطأ ، والحقيقي والمزيف في المادة التي تعرضها تطبيقات التقنية ، الى حدّ قد يصعب على المثقف أيضاً ان يميز بينهما ، وهنا تبدأ عملية القلق التي تفرض على المفكرين والمعنيين الاهتمام بالرصيد الحياتي للشباب والتفكير بطريقة استثمار جديدة تكفل للشاب العربي تحقيق عائدات مربحة لرصيده الحياتي والتعليمي والثقافي والتربوي .

ان علاقة الانسان بالآلة علاقة قديمة ترجع الى ملايين السنين ، حوالي خمسة ملايين سنة ، منذ الفأس الحجري ، وكانت هذه العلاقة تتحرك في حدود الوجود الطبيعي للإنسان في الحياة ، فكان يغير الأشياء من حوله من أجل أن يتمكن من تخطّي صعوبات معينة تعترضه في حياته ، لكن هذه العلاقة اليوم تأخذ مفهوماً جديداً وصل حدّ تدخل الآلة في حياة الانسان .. فمجرّد اتاحة استخدام التقنية غير المشروط وغير المقنن للجميع ترتّب عليه كثير من الاعراض الجانبية الضارة بطبيعة المجتمع ، فكثرت المشاكل الاجتماعية والشخصية بشكل ملفت ومخيف لأنها أخذت تهدّد استقرار الحياة، وهنا تأتي أهمية استثمار الرصيد الثقافي والحياتي الذي تحدثنا عنه في مشروع جديد يخدم تنمية وتطوير المجتمع ، وهو مشروع نهضة ثقافية بصناعة وعي نقابل بها التطور الصناعي العالمي في الغرب .

الشباب العربي بالرصيد الذي تطرقنا الى تفاصيله ، يمثل افضل استثمار في انجاح مشروعنا النهضوي الثقافي ، لأن الشباب يمثلون القوة الذاتية المحركة لجسم المجتمع ، وهذه القوة ضامنة لنجاح المشروع لأنها تتوافر على عدّة عناصر اساسية تحتاجها خطوات عمل المشروع النهضوي الثقافي في المجتمع ، وهذه العناصر الأساسية هي :

- عنصر الأصالة
- عنصر الانتاج
- عنصر الإبداع
- عنصر الإستثمار

أول هذه العناصر هو عنصر الأصالة ومعناه ان الشاب العربي هو ابن المجتمع ، وهذا يعني انه قادم من تربية أسرية تشهد طبيعة المجتمع العربي بسلامة تربية الأسرة العربية ، وهذه البيئة السليمة للتربية تهيئ للعنصر الآخر من عناصر المشروع آنفة الذكر ، وهو عنصر الإنتاج الذي يعني ان ابن المجتمع المتحدر من تربية أسرية صالحة وسليمة سيقدّم إنتاجاً إيجابياً في صناعة الوعي يمكنه أن ينهض بثقافة ذلك المجتمع وتحسين ظروفه ، وهذا العنصر يؤدي بنا الى العنصر الثالث وهو عنصر الإبداع ، فمن خلال الرصيد الحياتي المتضمن فئة الحالة المعنوية فإن الدافع الذاتي للشاب يحمله على

الابداع ليثبت ذاته ويبني شخصيته ، وهذه العناصر الثلاثة تأخذنا الى العنصر الرابع وهو عنصر الاستثمار الذي يعني ان صناعة الوعي لن تنتهي في مرحلة ومنية معينة ما دامت موادها الأولية متوافرة وبهذه الجودة العالية التي ذكرناها ، وهذا يضمن لها مستقبلاً واعداً وهو ما نرجوه من هدف كتابنا هذا .

لكي يبدأ الشاب العربي مشروع النهضة الثقافية يحتاج الى ثلاثة انواع من الاتصالات الأساسية:

- الاتصال بالنفس
- الاتصال بالله
- الاتصال بالمجتمع

إتصال الشخص بنفسه تؤمنه له معرفته بنفسه ، والنفس هي مفتاح وعي الذات ، ومفتاح الاتصال بالنفس هو التأمل .. والنفس هي البصمة الخاصة بكل شخص ، التي يتحقق بها تواصل العقل والقلب والنفس .. والنفس في القرآن الكريم : (لوّامة) و (مطمئنة) و (أمارة بالسوء)

في الآيات الكريمة :

(ولا اقسم بالنفس اللوّامة) آية 2 سورة القيامة

(يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) آية 27 سورة الفجر.

(وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء إلا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) آية 53 سورة يوسف

فالنفس (لوّامة) بمعنى الضمير الحي ، وهي (مطمئنة) بمعنى المصالحة مع صاحبها ، وهي (أمارة بالسوء) بمعنى الشهوة والأنانية.

والنفس في قول الإمام علي عليه السلام (فارغة فاشغلها بما يصلحها وإلا شغلتك بما يفسدك) ، ونقصد بالوعي الذاتي هو إحاطة الشاب معرفة بنفسه كمشاعر وافكار ورغبات وإعتقادات وقيم .

تأتي اهمية اتصال الشخص بنفسه وتأمينه بالشكل الذي يتحقق معه تفاهم ومصالحة ، في تأهيل الشخص للنوع الثاني من الاتصال وهو الاتصال بالله سبحانه وتعالى ، وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربّه) ، فكيف يعرف الشخص نفسه لينجح في اتصاله بربه ؟ يحدث ذلك عن طريق التأمل .. التامل فكرة قديمة ارتبطت بالمعتقدات الدينية ثم تطوّرت الى اسلوب من اساليب العلم الحديث في الطب لمعالجة المرضى .

أفادت دراسات علمية ان بضع دقائق يومياً من التأمل البسيط حيث يترك الانسان كل مشاغله ومشاكله ويدعها جانباً ويختلي بنفسه لدقائق معدودة يومياً لمدّة خمس دقائق مثلاً في جوّ هادئ ، تفيد في إحداث توازن في جوانب الشخصية النفسية والسلوكية والعقلية والاخلاقية ، وهي حاجة ضرورية لبداية مشروع نهضة صحيحة ، حيث التأمل يفتح مجالات واسعة لإستفهامات كثيرة تخصّ أحداث وسلوكيات ومواقف يومية ، ويفيد التأمل في تخفيف التوتّر وحالات القلق التي تسببها ضغوطات الحياة ، وتفعّل التركيز وتقوّي حضور الذهن ، والتأمل من الأدوات الفعّالة في نجاح صناعة الوعي الذاتي ، فكلّما تحقّق التوازن الداخلي تحقّقت الجودة في العمل ، فإذا تحققت حالة التوازن هذه وصل الشاب الى درجة المصالحة مع النفس ، وهي مرحلة النفس المطمئنة ، ووصول الشاب الى هذه المرحلة سيؤهله بنجاح الى مرحلة الاتصال بالله سبحانه وتعالى .

من شأن الإتصال بالله سبحانه وتعالى انه يفعّل البعد الروحي في حياة الشخص القائمة على الروح والمادة وعليه ان يتحرك في حياته على اساس تحقيق التوازن بين هذين المكونين ، لأن أي خلل في معادلة التوازن بين الروح والمادة يترتب عليه مشاكل كثيرة تقلق او تهدد استقرار واستمرار الحياة كالتطرف والتخلف والتعصب و..

يأتي الاتصال بالله سبحانه عن طرق عدّة منها العبادة والاستغفار

والعمل الصالح والتفكر ، والعقل هو من افضل طرق التقرب الى الله وفي الحديث النبوي تأكيد على اهمية التفكير (ان تفكر ساعة خير من سنة عبادة او من سبعين سنة عبادة) وكثير من آيات القرآن الكريم تحث على التفكير والتدبر والتعقل .

بتحقق هذين النوعين من الاتصال بالنفس وبالله ، يرتقي الشاب الى النوع الثالث وهو الاتصال بالآخرين ، وهو اتصال ضروري لابد منه ، لأن الانسان كائن اجتماعي لا يعيش بمعزل عن الآخرين .. والاتصال بالآخرين يعني مواجهة ثنائية الخير والشر التي تطرقنا اليها ، وما يساعد الشاب على معرفة الخير من الشر ، والصح من الخطأ ، هو نجاحه في تأمين الإتصالين الأوليين : مع النفس ، ومع الله .

بسلامة تحقيق هذه الانواع الثلاثة من الاتصال سيتمكن جيل الشباب في عصر التقنية المتطورة وتطبيقات الذكاء الإصطناعي من التواصل مع العالم الافتراضي حيث تواجهه انواع مختلفة من المحتويات ، منها المحتوى الهابط الذي يسيئ الى الاخلاق والقيم والضوابط الاجتماعية ، او المحتوى السيئ والمحتوى التافه الذي لا يحفز على التفكير والتطوير .. فنحن لا نستطيع أن نمنع الأشخاص الذين لم يحالفهم الحظ في امتلاك رصيد حياتي سليم كالذي تطرقنا اليه ، من صنع محتوياتهم الهابطة ونشرها ، لكننا نستطيع ان نحصّن انفسنا من ان تخدعنا او تحرفنا المادة الموجودة في تلك

المحتويات الهابطة من المضي في مشروع النهضة الثقافية المرجوّة . فإذا صنع الشباب المتعلم في المدارس والجامعات شبكة محتويات هادفة ينشرون من خلالها مادة ايجابية نافعة ، امكن حماية طبقات المجتمع البسيطة من الوقوع في فخ المحتويات الهابطة ، وامكن تهيئة مساحة جيدة للمفكرين والمثقفين يشتغلون عليها في اعداد منهاج ثقافي يوفر مستلزمات تمكين المجتمع ثقافياً ، وهكذا بالتدريج حتى يصبح للثقافة قوة حضور فاعلة ومؤثرة .

بدون دور الشباب المتعلم هذا ، سيعتاد ابناء المجتمع على تقبل ما تعرضه المحتويات الهابطة والتافهة على انها مادة ثقافة العصر ، وهو ما يهدّد ويهدم بناء المجتمع ويحول دون تمكنه ثقافياً ، خصوصاً عندما يتطور عمل تلك المحتويات السيئة ليقدّم اشخاصاً على انهم من المثقفين ومن حملة الشهادات العليا .. يحاولون من خلال محتوياتهم السيئة غير المباشرة النيل من رموز وشخصيات ثقافية وتاريخية ودينية ، لها حضورها المعنوي الايجابي في وجدان الناس ، بهدف زعزعة اطمئنان البسطاء منهم بتعريض ثقتهم برموزهم التاريخية والثقافية الى الضعف الذي من شأنه ان يسهّل على تلك الأجندات السيئة إعادة تشكيل المحتوى الثقافي للناس بما يخدم مشاريعهم السياسية والإقتصادية والثقافية التي لا يبدو من خلال العقدين الماضيين منذ بداية القرن الواحد والعشرين انها

مشاريع انسانية هادفة ، قدر ما يبدو عليها انها مشاريع تجارية اقتصادية مادية تستثمر في كل شيء حتى انسانية الانسان وثقافته وتراثه ودينه وتاريخه .. فمن خلال الامتيازات التي تتيحها شركات منتجة للتقنية الرقمية عبر تطبيقاتها تسمح فيها لمستخدميها بجني الأموال من خلال تقديمهم محتويات تحظى بأعداد كبيرة عدد من الاعجابات والمتابعات بغض النظر عن طبيعة تلك المحتويات ، الأمر الذي حفّز كثيرين من ذوي الرصيد الحياتي والتعليمي والتثقيفي القليل ، على تقديم محتويات إن لم تكن سيئة ، فهي غير نافعة .. وبسبب الرصيد الثقافي والتعليمي القليل لكثير من الناس فقد اخذت تظهر على الساحة شخصيات تافهة ، او غير مؤهلة لأن تكون في الواجهة ، اخذت تتحول الى (ترند) أي الى شخصيات لها شعبيتها ومتابعيها ومقلديها ، واخذوا يجنون أموالاً واربحاً من نشر محتوياتهم تلك ، وعندما يمتلك هؤلاء المال والشعبية ، ستتمكن اجندات المشاريع الخاصة من تمرير ما تريده من خلال هؤلاء ، دون ان يمتلك المتلقي رصيداً كافياً يؤهله لمعرفة الجيد من الرديئ ، والصح من الخطأ ، والحقيقة من الوهم .

في السابق جاء الإهتمام بإنتاج السلعة من أجل استخدامها ، ثم صار الإهتمام بانتاج السلعة من أجل بيعها ، ثم من أجل بيع اكبر عدد ممكن منها ، ثم من أجل استمرار انتاج السلع واستهلاكها من اجل

المزيد من كسب المال .. وكان كسب المال في السابق من أجل تلبية الإحتياجات ، ثم صار كسب المال من أجل المال فقط ، ثم من أجل النفوذ والسلطة ، ومن هذا صار إنتاج السلع من أجل التحكم بالمستهلك ، لأن مشاريع الاقتصاد الصناعي العالمي صارت تبحث وتستثمر في مجالات اوسع من التجارة والصناعة ، فتوسعت الى الاستثمار في الثقافة أيضاً ، وجاء هذا النوع من الإستثمار على حساب طبيعة الفرد والمجتمع .

المصادر

- القرآن الكريم

- تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب

- عقائد المفكرين في القرن العشرين / عباس محمود العقاد

- دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي / د. حسام الدين الآلوسي

- الفلسفة والإنسان / د. حسام الدين الآلوسي

- العقل الناضج / هـ. أ. اوفر ستريت / ترجمة د. عبد العزيز القوصي، محمد عثمان

- الدين والتحليل النفسي / إريك فروم – ترجمة فؤاد كامل

- مقالات ممنوعة / سلامة موسى

- قصة الانثروبولوجيا / د. حسين فهيم

المحتوى

مقدمة 1
الكتاب كائن حي 3
الثقافة المحلية وعصر التقنية 10
الفردية الثقافية 11
المثقف العربي والتطور الغربي 12
الثقافة التقنية الرقمية 13
التثقيف الإفتراضي 14
أنشطة ثقافية الكترونية 15
الثقافة والتزييف العميق 16
بين الإغتراب والتغريب 18
تقارير ثقافية 19
الكتاب الورقي وتقنية الطباعة 20
الكتاب والتسويق 22
الثقافة والتقنية الصناعية 26
ثقافة مرحلية 27
مضامين ثقافية 28
في نقد ثقافة الدولة 29

الثقافة الرسمية 31
ترقين قيد مثقف 33
لا حياة بدون ثقافة 35
الثقافة وانثروبولوجيا المجتمع 37
فصل الثقافة عن سياسة الدولة 41
الثقافة المعاصرة وشروط النهضة 48
بين الماضي والحاضر 50
المسافة بين المثقف والمجتمع 50
الثقافة بين القيم والتقنية 51
بين ثقافة الإلهام وثقافة الإلمام 52
بين المعمّم والسياسي 53
ثقافة الإدّعاء 55
الثقافة بين الحاجة والضرورة 55
الثقافة بين العقيدة والمعرفة 57
الثقافة والضغط النفسي للفرد والمجتمع 57
الثقافة بين الخبرة الإنسانية والتقنية الآلية 60
الثقافة بين عقيدة الجماهير وعقيدة السلطة 61
الثقافة بين روتين إدارة الدولة وحق المواطن 61
عقلنة العاطفة 63

الأمان واحترام الذات 64
الثقافة والإنسان بين المستهلِك والمستهلَك 66
الدين والدولة والتطور 68
أثر الإستخدام المتزايد للتقنية في ثقافة المثقف 71
حرية الإختيار وإختيار الحرية 72
الثقافة بوصفها مشروع قوة في المجتمع 74
المواطن العربي والمواطن الغربي 76
التطور بوصفه ضرورة ثقافية 78
ثقافة حضور الماضي 79
ثقافة التوحيد 84
القلق الثقافي وقصور الوعي 86
الخروج من الدين 87
الكليبتوقراطية وحُكم الثقافة 92
تقنية الهولوغرام وثقافة المستقبل 96
صناعة الوعي ضرورة حتمية في عصر التقنية الذكية 102
بين التواصل الإجتماعي والتواصل الثقافي 111
أنت مثقف .. إذن أنا أراك 114
الفلسفة بوصفها ثقافة ضرورية في عصر الذكاء الإصطناعي 117
الثقافة العربية المعاصرة ومشاريع الذكاء الإصطناعي 124

توظيف الذكاء الإصطناعي في خدمة الذكاء الطبيعي 128
هل تسهم التقنية الذكية في كشف حقيقة ثقافة الكاتب ؟ 129
هل تصبح الثقافة الشعبية ظاهرة عامة ؟ 130
بين العقل الإنساني والذكاء الآلي 132
نهاية الثقافة 135
بين التدريب النفسي والتدريب الذهني 138
التداول الثقافي 139
دور الشباب العربي في مشروع النهضة الثقافية المعاصرة 142
المصادر 155

الرقم الدولي : 7 – 198 – 29 – 9922 – 978
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (3670) لسنة 2025م

لقد أصبح التطور التقني المتسارع ومشاريع الذكاء الإصطناعي واقعاً عالمياً ، ولم يعد مجدياً إعداد بحث أو دراسة عملية ناجحة في أي مجال من مجالات المعرفة وانت تجلس منعزلاً في ركن مكتبك الخاص ، ما لم يكن لديك اتصال وتواصل مع العالم من حولك حيث تشهد أحداثه حركة تغيير متواصلة ومتسارعة ، والمشهد الثقافي العربي من بين تلك المجالات التي نحتاج اليوم الى دراستها في ضوء علم الإنسان - الانثروبولوجيا - للوقوف على طبيعة وطريقة حياة الناس لمعرفة الكيفية التي نوظف بها مواردنا الطبيعية والبشرية والثقافية في مشاريع تخدم نهضة الواقع بهدف إصلاحه عبر تمكين المجتمع ثقافياً وبشكل تدريجي حتى تصبح الثقافة قوة قادرة على تحريك الواقع والنهوض به الى ما ينبغي أن يكون عليه .

مؤسسة البلداوي للطباعة
AL-BALDAWI ORGANIZATION FOR PRINTING
بغداد - 2025م
ISPN 978 - 9922 - 29 - 198 - 7
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (3670) لسنة 2025م